التناص في شعر الشابي

(1)

بقلم: د. ابتسام الوسلاتي



"الصرخة ليست صرختك، لست أنت من تتحدث بل أسلاف لا يحصى عددهم يتحدثون مع فمك. لست أنت من يرغب وإنّما أجيال لا تحصى من المتحدرين يتوقون مع قلبك.. لست حرّا. أيد لا تحصى وخفيّة تمسك بديك وترشدهما. حين تنهض غاضبا يرغي جدّ عظيم في فمك، وحين تمارس الجنس، أحد أسلافك من سكان الكهوف يدمدم من الشبق، وحين تنام تنفتح المدافن في ذاكرتك إلى أن تطفح جمجمتك بالأشباح".

نيكوس كازانتزاكيس "الحديقة الصخرية"

مدخل

إنّ الاهتمام بالروافد الشرقية والغربية المبثوثة في قصائد الشابي يندرج في إطار عام يتعلق بالتناص الذي يشكل حوارا بين النصوص. وقد أولته المناهج الحديثة أهمية كبرى وكرست فكرة تقضي بأنّ كلّ نصّ إنّما يقوم على ركام من النصوص التي سبقت أو المعاصرة له، يقول رولان بارت (1915-1980) Roland Barthes في هذا الصدد: "إنّ كلّ نصّ، نصّ جامع تقوم في أحنائه نصوص أخرى في مستويات متغيّرة، وبأشكال قد نتعرّفها إن قليلا أو كثيرا: هي نصوص الثقافة السّابقة، ونصوص الثقافة الراهنة"[1].

يكتسي مفهوم التناص طابعا إجرائيّا في مسار تشكّل نظريّة النّصّ الحديثة، حيث حَمَلَ إبّان اشتغاله في

حقل التّحليل السينمائيّ تصوّرا جعل من النّصّ ملتقى لنصوص متنوّعة، فهو إعادة تشكيل للغة موجودة سلفا تُجمع دوما في ما يسمّى بـ "النّصّ الجامع". ويعود الفضل في تحديد هذا المفهوم إلى الباحثة جوليا كريستيفا Julia Kristeva (1941) التي اعتبرت أنّ كلّ نصّ يمثل فسيفساء من الاستشهادات، إذ أنّ النّصّ ليس إبداع شخص واحد يملك مقدرة خارقة بل هو منطقة تلتقي فيها شبكات دالّة ومختلفة، ممّا يحصر مجال عمل المؤلّف في مدى قدرته على هدم السّابق وإعادة البناء على الأنقاض، وبهذا المعنى يتخذ البناء تشكيلا فسيفسائيّا إذ يعمد الكاتب إلى نقل شواهد من نصوص قديمة وحديثة ومن لغات مختلفة، بل ويجري ما يستقيه من "الكلام الاجتماعيّ"[2] ويدخله في نسيج نصّه ليكتسب دلالة جديدة بحسب السّياق الذي انتقل إليه، وهو ما يعني أنّ النّصّ غير منفصل عن تاريخ اللّغة وذاكرتها، وقد أكد بارت هذه الفكرة بقوله: "ومن النّاحية الابيستيمولوجيّة، فإنّ مفهوم النّصّ الجامع هو ما يجعل نظريّة النّصّ ذات حجم اجتماعيّ إذ أنّ الكلام كلّه قديمه ومعاصره مصبّه النّصّ، لا على وجه التّسلسل البينّ، أو التّقليد المقصود، بل على وجه البعثرة، وهي صورة تكفل للنّص أن ينزّلَ لا منزلة إعادة الانتاج بل منزلة الانتاجيّة"[3].

نتنهي بذلك إلى أنّ هذا المفهوم الذي جاءت به جوليا كريستيفا وتبنّاه رولان بارت يحيل النّصّ إلى معنى النّسيج المتداخل الذي يضمن اشتغاله ضمن مستويات عديدة، وهو مفهوم حاول تجاوز النّظريّات النّقديّة التّقليديّة

التي انصبّ جهدها على البحث عن الحقيقة الكامنة وراء هذا النّسيج وكرّست ميتافيزيقا الحقيقة التي تجعل من الكلام حاملا للمعنى الأحاديّ والدّلالة الثابتة والمغلقة يقول بارت: "إنّ نظريّة النّصّ اليوم تضرب صفحا عن النّصّ الحجاب، وتسعى إلى إدراك النّسيج في حياكته، وفي تضافر السّنن والصّيغ والدّوالّ تضافرا تتنزّل فيه الذات، وتنحلّ شأن العنكبوت التي تذيب نفسها في خيوطها. وقد يمكن إذن للمولع باستحداث الكلمات الجديدة أن يحدّد نظريّة النّصّ بكونها "الهيفُولُوجيَا" (فهيفوس تعني [في الاغريقيّة] النسيج، والحجاب وخيوط العنكبوت)".(4)

ومن هذا المنطلق كان تقصي شواهد التناص في التجربة الشعرية عند أبي القاسم الشابي (1909- 1934) مدار اهتمامنا في هذا المقال علما أنّ الشعر التونسي لم يكن قادرا على عبور مختلف مراحله بدءا بالشعر العصري فالرومنسية ثم لحظة الشعر الحرّ فحركة الطليعة وصولا إلى الشعر الصوتي باعتباره نصّا منغلقا على فضائه الخاص، بل إنّه شأن كلّ نصّ قد تحاور مع نصوص أخرى وافدة عليه سواء بالاطلاع المباشر أو عن طريق الترجمة. فكان التفاعل بين النصّ الشعري التونسي ومختلف النصوص الشرقية منها والغربية متواصلا منذ بداية القرن العشرين وممتدا إلى اليوم ونلمح شواهد ذلك داخل النسيج النصّي. وقد نما هذا الوعي بالخصوص خلال الثلاثينات من القرن العشرين فظهرت مبادرات للثورة على جمود الساحة الشعرية وركودها.

1. تجليات حضور الروافد الشرقية في القصيدة الشابية

انفتح الشعر التونسي على العوالم الرومنطيقية مع حلول الثلاثينات من القرن الماضي حيث تغيّرت الظرفية

التاريخية وأصبح الشعر العصري عاجزا عن التعبير على شواغل الشاعر وأفكاره. فكانت الرومنطيقية في جوهرها ثورة على التقوقع والسكون والثبات تعكس رغبة في التغيير والتمرد على الموضوعات التقليدية والطرق الفنّية القديمة وترحيب بالعاطفة والخيال.

لقد استلهم الشعراء العرب الرؤية الرومنطيقية من المدونة الشعرية الغربية وقد سار الشعراء التونسيون على هدي الشرق في التأثر بهذه الرؤية الفنية، وإن أبرز علم من أعلامها هو أبو القاسم الشابي وكان تأثره جليا بتجربة مدرسة الديوان بالإضافة إلى شعراء المهجر[5]، يتجلى ذلك بالخصوص في مفهومه للشعر إذ ثار على حصر الممارسة الشعرية داخل أطر ضيقة كبلت الشاعر العربي فاكتفى بترديد أصوات الأسلاف دون البحث عن سبل التجديد ويتضح هذا الموقف من خلال تعريفه للشعر بقوله: "إنّ الشّعر، يا صاحبي، هو ما تسمعه وتبصره في ضجّة الرّيح وهدير البحار، وفي بسمة الوردة الحائرة، يدمدم فوقها النحل، ويرفرف حواليها الفراش، وفي النّغمة المفردة يرسلها الطّائر في الحقل الفسيح، وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول. وفي دمدمة النّهر الهادر المتدفق نحو البحار. وفي مطلع الشّمس وخفوق النّجوم. وفي كلّ ما تراه وتسمعه وتكرهه وتحبّه وتألفه وتخشاه"[6].

إنّ هذا التعريف الذي ورد على لسان الشابي يذكرنا بتعريف الشعر عند ميخائيل نعيمة (1889- 1988) مثلما ذكره في كتاب الغربال بقوله: "الشعر هو غلبة النور على الظلمة، والحق على الباطل. هو ترنيمة البلبل ونوح الورْق. وخرير الجدول وقصف الرعد. هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى، وتورد وجنة العذراء وتجعد وجه

الشيخ. هو جمال البقاء وبقاء الجمال. الشعر – لذة التمتع بالحياة والرعشة أمام وجه الموت. هو الحب والبغض. والنعيم والشقاء. هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوي"[7].

كان الشابي ينكر الجمود الذي وسم القصيدة العربية ويدعو إلى الخروج عن النموذج التقليدي الذي استنفذ أغراضه وغدا عاجزا عن مواكبة التطورات الحاصلة في الواقع، من ثمة كانت دعوته ملحة إلى أدب جديد في شكله ومضمونه بعيد عن التكلف والصنعة صادق في صوره وبسيط في أدائه، وممّا ورد في كتابه الخيال الشعري في معرض نقده للقصيدة العربية والأدب القديم قوله: "أدب مادي لا سمو فيه ولا إلهام، ولا تشوّفَ إلى المستقبل، ولا نظر إلى صميم الأشياء ولباب الحقائق، وإنّه كلمة ساذجة لا تعبر عن معنى عميق بعيد القرار، ولا تفصح عن فكر يتصل بأقصى ناحية من نواحي النفوس، وقراشة جميلة ترفرف بين الزهور الحالمة، ولا تجسر على الدنو من سراديب الجبال وأعماق الكهوف والأودية..."[8].

تأثر الشابي بالمدرسة المهجرية التي عمقت لديه المفهوم الجديد للشعر باعتباره ثورة على القديم في الكتابة الشعرية، فالفن بشكل عام رسالة بعث وإحياء مهمته إيقاظ الناس من السبات والجمود، وفي هذا السياق عمد الشابي مثله في ذلك مثل أحمد شوقي (1868- 1932) ومعروف الرصافي (1875- 1945) إلى التنديد بجملة من الظواهر السلبية التي تعيق تقدم الوطن وتطوره وتغرقه في جملة من المحن؛ تخلف اجتماعي وفقر واستعمار يستنزف ثروات الشعب، فكانت هتافات الشابي تدوي ثائرة على القهر والذل مؤمنة بالحياة متطلعة إلى السمو والرفعة في زمن كانت فيه البيئة

السياسيّة والاجتماعيّة تحاول سلب حريّة الفرد وخصوصيّته من ذلك قوله: [المتقارب]

إذا الشعبُ يوما أراد الحياة
فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ لليـــل أن ينجـــلي
ولا بد للـــقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوقُ الحيـاة
تبـــخّرَ في جوّها، واندثر
فويل لمن لم تَشقهُ الحيـــاة
من صفعة العدَم المنتصر

كذلك قالت لي الكائنات
وحدّثني روحُها المستتر[9]

وقد شكلت المرأة أبرز اهتمامات الشابي في إطار مشروع يرمي إلى النهوض بها من الوضعية السيئة التي عانت منها لقرون عديدة فحرم المجتمع من عضو فاعل من شأنه تحقيق الإضافة لذلك ترفع الشاعر في وصفها عن ذكر المحاسن الجسدية وانصرف إلى وصف ما تنطوي عليه سريرتها من نقاء قلب وطهارة روح ورصد ما في جوانحها من معاني إنسانية عميقة ومصداقا لذلك هذا المقطع من قصيدة "صلوات في هيكل الحب" يقول: [الخفيف]

عذبة أنت كالطفولة، كالأحـــلام
كـــاللّحن، كالصّبـــاح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء
كالـــورد، كابتســـام الوليـــد
يا لها مـــن وداعـــة وجـــمال
وشبـــاب منـــعّم أملـــود
يا لها من طـــهارة، تبعثُ التقديـ
ـــس في مهجة الشقيّ العنيد...
يا لـــها رقّة تكـــاد يرفّ الـــور
د منها في الصّخرة الجلمود[10]

وقد تعلق الشابي بنموذج المرأة الذي نجده عند عباس محمود العقاد (1889- 1964) وجبران خليل جبران (1883- 1931) وميخائيل نعيمة حيث تتراءى المرأة رمزا للطهر والعفة والجمال ولعلّ أهم صفاتها الروحية غلبة مشاعر

الحنان والعطف النابعة من سيطرة عاطفة الأمومة عليها ومثال ذلك قوله: [الخفيف]

أنت دنيا من الأناشيد والأحلام
والسحر والخيال المديد
أنت فوق الخيال، والشّعر، والفنّ
وفوق التّهى وفوق الحدود
أنت قدسي، ومعبدي، وصباحي،
وربيعي، ونشوتي، وخلودي[11]

انطوت تجارب الشابي النفسية القاسية على "مفكر" عميق التفكير، فكان لا يكتفي بأحاسيسه وإنما يحاول دوماً أن يصرفها عن المرارة ويميل بها إلى الحياة وهي التي انصرفت بطبيعتها نحو الأسى والكآبة، إذ كان الشعور بالكآبة طابعا مميزا وسم قصائد الرومنطيقيين عامّة وقد انجرّ عنه إحساس الشاعر بالغربة يقول جبران: "أنا غريب في هذا العالم. أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنّها تجعلني أفكّر أبدا بوطن سحري لا أعرفه، وتملأ أحلامي بأشباح أرض قصية ما رأتها عيني. أنا غريب عن أهلي وخلاني، فإذا ما لقيت واحدا منهم أقول في ذاتي: من هذا، وكيف عرفته، وأي ناموس يجمعني به، ولماذا أقترب منه وأجالسه؟"[12].

أمّا الشابي فكان شعوره بالغربة عميقا أمام جحود أهله وعجزهم عن فهم مضمون رسالته التي يرمي من خلالها إلى النهوض بهم من العبودية والتخلف والعبور إلى ضفة الحرية والكرامة، وقد عبّر عن هذه الفكرة في قصيدة الأشواق التائهة: [الخفيف]

يا صميم الحياة إني وحيدٌ
مدلجٌ، تائه. فأين شروقُك؟
يا صميم الحياة إني فؤادٌ
ضائع، ظامئٌ. فأين رحيقُك؟
يا صميم الحياة قد وجم النايُ
وغام الفضاء، فأين بريقُك؟
يا صميم الحياة أين أغانيك
فتحت النجوم يُصغي مشوقُك[13]

بحث الشاعر عن ملاذ ووجد ضالته
بين أحضان الطبيعة حيث السكينة
والهدوء والراحة في فضاء أهم سماته
البراءة والنقاء يتطهر فيه من أدران
الواقع وزيف المجتمع وانقلاب القيم
فيحقق من ثمة ما يطمح إليه ويرسي
دعائم مجتمع مثالي يكرس فيه منظومته
القيمية والأخلاقية ناشدا العزلة
والانفراد بعيدا عن هموم شعبه منصرفا
إلى التأمل في واقعه لذلك احتلت
الطبيعة حيّزا هاما في ديوان الشابي ولم
يكن وصف الطبيعة مقصودا لذاته بل
أراد الشاعر من خلاله أن يربط بينه
وبين أحواله النّفسيّة وها هو يقول في
قصيد "أحلام شاعر": [الخفيف]

ليت لي أن أعيش في هذه الدنى
سعيدا بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال، وفي الغابات
بين الصنوبر المياد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف
نفسي عن استماع فؤادي
أرقب الموت، والحياة، وأصغي
لحديث الآزال والآباد
وأغني مع البلابل في الغاب،
وأصغي إلى خرير الوادي[14]

الهوامش

1- رولاند بارت: نظرية النص ترجمة منجي الشملي وعبدالله صولة ومحمد القاضي، تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد 27، 1988، كلية الآداب جامعة منوبة، ص 81.

2- المرجع السابق.

3- المرجع السابق.

4- المرجع السابق، ص 82.

5- انظر: عارفة محمد التابعي، الشابي وجبران، بيروت، دار الثقافة، ط 2، 1967.

6- أبو القاسم الشابي، العالم الأدبي، حانفي 1932.

7- ميخائيل نعيمة: الغربال، لبنان، مؤسسة نوفل، ط 15، 1991، ص 76.

8- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب. تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، ط 1، 1998، ص ص 149 – 150.

9- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، قصيدة "إرادة الحياة"، سوسة، دار المعارف للطباعة والنشر، ط 1، 2008، ص258.

10- المرجع السابق، قصيدة "صلوات في هيكل الحب"، ص 189.

11- المرجع السابق، ص ص 192 – 193.

12. جبران خليل جبران: العواصف، سوسة، دار المعارف للطباعة والنشر، ط1، 1991، ص 172.

13- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، قصيدة "الأشواق الدائمة"، (سبق ذكره)، ص 174.

14. المرجع السابق، قصيدة "أحلام شاعر"، (سبق ذكره)، ص 177.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزردة أو الزيارة في التراث الشعبي للبلاد التونسية

بقلم: منصف كريمي

المقدمة:

رغم التطوّرات العصرية والرقمية التي شهدها العالم والذي أثّر بالضرورة وبداهة على تغيّر طبيعة الحياة الإجتماعية في مواكبة حينية لهذه التطوّرات العلمية بشكل يوفي فإن بعض العادات والتقاليد صمدت في وجه العولمة الجارفة لتظلّ راسخة ومتجذّرة بالوسط الريفي أساسا خاصة في ما يتعلّق بمسألة المقدسات والمعتقدات الدينية والطقوس الواقعية والأسطورية بل إن حملة الإعتداءات على مقامات الأولياء وتعرضّها للحرق والنهب على غرار ما حدث لمقام السيدة عائشة المنوبية ومقام سيدي بوسعيد الباجي ومقام أحمد الورفلي بأكودة وسيدي المحارب بالمنستير وغيرها جعل حتى الوسط الحضري يهتم بهذه المقامات ويعيد لها إعتبارها ويهتم بها دراسة وإعادة ممارسة إحتفالية في ظلّ ثورة سياسية كان لا بدّ أن ترافقها ثورة في جميع مجالات الحياة وخاصة الحياة الثقافية والإجتماعية ومساهمة منا في هذا التوجّه اخترنا اليوم وضمن أشغال هذا الملتقى(*) أن نستحضر بعض خصوصيات الزردة أو الزيارة وأن نقدّم مقاربة أنتربولوجية بين خصوصيات هذه الطقوس وأوجه إختلافها وتقاربها بين شمال البلاد التونسية وجنوبها بهدف التأكيد أن الإرث الفرجوي في كل حضارة من حضارات الإنسانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعد سندا متينا يغذي ثقافة بلادنا ويساهم في صياغة مخيالها الجمعي كما يؤسس لما يسمّى بـ"الذهنية الشعرية" التي تلتجئ إليها الأمم لإعادة صياغة هويتها وتجديد حضورها الرمزي والجمالي في ظل عالم متحرّك يعيش صراعا بين الحضارات الثابتة والأخرى غير القارّة والمنبتة.

في مفهوم الزردة والزيارة والوعدة:

"الزردة" في الموروث الثقافي الشعبي التونسي هي وليمة تقام على شرف أحد الأولياء في شكل تجمع احتفالي يغلب عليه الطابع الصوفي وهي مجال لترسيخ قيم الكرم وحسن الضيافة واللطافة بذبح الخرفان وإطعام الجيعان والعطف على الغربان في أجواء من الفرح الذي تبرز معالمه من خلال ألعاب الفروسية والمهارة وبراعة الرميّ وضرب الشارة يتخللها طقس ديني مميّز بالمدح والإذكار التي إتخذت في بدايتها طابعا صوفيا دينيا لتتحوّل إلى منظومة فلكلورية شعبية تونسية خالصة وهي إلى ذلك تجمّع احتفالي ديني يقام قرب حرم وليّ في شكل وليمة جماعية يضمّ الأتباع والمخلصين لهذا الوليّ ودعومة هذه الظاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي للناسفي ظلّ إعتقاد بجملة من الأحداث التي حدّت بزوايا الأولياء والتي يتداخل فيها الأسطوري بالواقعي والخيال بالعقل وكما يذكر إبن خلدون في كتابه "العبر" فقد نشأت هذه الظاهرة في فترة الدولة الحفصية مؤكّدا أن الاحتفال بالأولياء الصالحين في تلك الفترة كان عميقا ومتأصّلا لا في الوسط الريفي فقط بل حتى بالحاضرة(أي تونس العاصمة) بل بلغ الأمر بهم إلى تعظيم هؤلاء الأولياء، وبالنسبة إلى "الزيارة" فتعني زيارة قبر الولي أو مكان أسطوري يوثّق لحدوث شيء عجيب به ليتحوّل إثر ذلك إلى فضاء مفتوح للعبادة والتقديس بالشكل الشعبي لا طلبا للغفران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتفكير عن الذنوب فحسب بل سعيا نحو البحث عن متنفّس مخيالي شعبي للآلام والخوف والحزن وصولا للشعور بحالة من الإستمرار النفسي والتفاؤل بالمستقبل وتكون زيارة كل ولي سنويا وتذبح الذبائح بمقامه ويشرف وكيل الزاوية على الزردة وبعد صلاة العشاء تقام الحضرة ويتجاوز عدد الراقصين أو من يعرف باسم المجاديب الخمسة والثلاثين، أما "الوعدة" فهي عادة ارتبطت بالتراث الشعبي وهي ظاهرة عامة انتشرت في القرى والمدن حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة واستمروا في إقامتها ولها دلالاتها الإجتماعية والدينية لا يستبعد فرضية أن تكون الوعدة حديثة العهد ترتبط بسقوط غرناطة وبأهلها (الموريسكيين) الذين هجروا الأندلس واستقروا بشمال إفريقيا وباتت ظروفهم الجديدة تحتم عليهم تحديد موعد للتلاقي وكان ذلك مع نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف وعند التقاء الجموع كانت تنصب الخيام وتذبح الذبائح تتخللها قراءات شعرية وموسيقى ورقص الذي اشتهر به المجتمع الأندلسي خاصة في مجال التو شيح و الزجل وغيرها من الفنون وعند انتهاء اللقاء الذي كان يدوم لأيام ويأخذ شكل الاحتفال الشعبي تفترق الوفود ضاربة لنفسها موعدا للعام المقبل في نفس الموسم والمكان ومن هنا أخذ الاحتفال اسم الوعدة وربما كانت في الأصل (الوعد) ثم تأنثت التسمية مع مرور الزمن تماما مثل ما تغيرت أمكنـــة وأزمنة حدوثها مع تغير أحوال المجتمع.

الزردة بالشمال الغربي:

تشهد قرى وأرياف معتمديات ولايات الشمال الغربي في كل صيف خاصة إقامة حفلات تبرّكا بالأولياء ضمن ما يعرف بالمصطلح الشعبي "الزردة" والتي هي عبارة عن طقس احتفالي ينتظم تحديدا كل يوم خميس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في إشارة رمزية لهذا اليوم الذي يسبق يوم الجمعة وما في هذا اليوم من معان روحية تاريخية متأصلة في الفقه والتراث الإسلامي وتقام خلال هذه "الزردة" الذبائح وتقدم الولائم في جو من الخشوع والحراك التجاري ومن أبرز أولياء هذه الربوع بولاية جندوبة مثلا الوليّ"سيدي قويدر" وتحديدا بمنطقة طبرقة والذي تحيط به عديد الحكايا المتوارثة والتي تجمع بين الواقعي والأسطوري حيث عرف هذا الوليّ بورعه وتقواه وبمجازاته –وفق ما تذكره الأسطورة– لزوّاره سواء بالخير أو على العكس وذلك حسب نواياهم من ذلك أن الأسطورة تذكر أحداثا غريبة من ذلك أن رجلا سرق غلالا من هذا المزار فتجمدت يداه وأصبح أبكم فتدخل بعض الشيوخ والنسوة راجين من سيدي قويدر إخراجه من هذا الوضع على مرآى من الجميع وعاد إلى حالته الطبيعية وهي ظاهرة يتوافد عليها آلاف الزوّار من سكّان المدن والأرياف المجاورة حتى أن معظم الأفراح تؤجّل بعد قيام هذه الزردة التي يسهر على جوانبها التنظيمية رجل يعرف باسم «الوكيل» ينظّم المراحل المختلفة لأحداث الزردة مرورا بالإشهار الذي يتم في الأسواق الأسبوعية وبزيارة المنازل من خلال تكليف ثلاثة رجال يحملون أعلاما مختلفة الألوان تعرف بـ"اللحاف" وتدور وقائع الزردة على أنغام الطبل والمزمار ورقص الخيول وإضاءة الشموع ب«المزارة» وهي مكان محاط بالحجارة من كل جانب توضع به بعض المليمات قبل الوصول إلى زاوية الولي وبمنطقة عين دراهم يوجد وليّ يسمّى"سيدي عبد الله"ويوجد بأحواز هذه المنطقة السياحية وحسب ما يُروى فإن هذا الولي يعرف بأعماله الصالحة لذلك تم بناء ضريح له، ويقصده الآلاف من الزوار استجابة لتحقيق رغباتهم الدنيوية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويذكر في الأسطورة أن هذا الوليّ زارته إمرأة عاقر وتبرّكت به واستنجدته فلبّى ندائها وتمكّنت من الإنجاب فقرّر زوجها صنع جمل يركبه رجل يلبس برنسا من الفخّار ويبيعه بسعر رمزي ليطلق على هذا الوليّ إثر هذه الحركة ومن يومها إسم "سيدي عبد الله بالجمال" كما يزوره عدد من التلامذة الذين يجرون امتحانات وطنية لمساعدتهم في التوفيق في اجتياز هذه الامتحانات إلى جانب زيارته من قبل الفتيات الراغبات في الزواج كما يوجد بمعتمدية فرنانة وتحديدا بعمادة سيدي سعيد مقام الوليّة المعروفة بـ"بنت أحمد" وتقام لها هي الأخرى زردة سنوية وبالمثل توجد زردة أخرى بمنطقة بوسالم تسمّى "زردة سيدي صالح البلطي" لتصبح ساحة هذا المقام في السنوات الأخيرة فضاء لمهرجان فني فلكلوري شعبي يسمّى بـ"مهرجان سيدي صالح البلطي" وتنتظم خلال هذه الطقوس الاحتفالية بمقامات الأولياء على تعدّدها وتنوّعها مظاهر للألعاب الغريبة من قبل الشبّان والفتوة الذين يشعلون ليلا النار وتوضع فيها المناجل والسيوف ورغم حرارتها الشديدة يتراقصون بها عراة على أنغام المزمار والبندير ضمن شكل فني يسمّى بالدّارجة"التهويل" لهول المشهد وخطورته ورمزية القوة والقدرة السريعة والغريبة على الحركة من قبل هؤلاء الشبّان وبالنسبة إلى منطقة غار الدماء فالطقوس الاحتفالية (الزيارة، الزردة، الوعدة) التي تقام على شرف الأولياء تمكّن الزائرين من الحصول على العديد من النعم توفر الإحسان والانسجام داخل العائلة وتنشر السلم داخل المجموعة القبلية. **الزردة أو الزيارة في باقي البلاد التونسية:**

إن جردا أنتروبولوجيا دقيقا في خارطة البلاد التونسية يؤكّد أنه لا تخلو جهة من جهاتها بالوسط والجنوب هي الأخرى من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقامات ومزارات للأولياء الصالحين فعلى بعد 30 كم مثلا من سيدي بوزيد وفي الطريق الرابطة بين فايض وسيدي علي بن نصر الله يوجد مقام الوليّ سيدي خليف ضمن مقام ناصع البياض منتصبا في سهل جبل ضمن زاوية دفن بها هذا الوليّ وفي هذا المكان تقام سنويا في مطلع كل خريف زردة سيدي خليف التي يزورها آلاف المواطنين من عديد الجهات وخاصة من العاصمة وسوسة والقيروان لتقام الخيام وتنتصب أسواق الخضر والغلال ومختلف المواد والسلع ليتمّ لاحقا هيكلة هذا الاحتفاء ضمن جمعية مهرجان سيدي خليف هذا الوليّ الذي يعود نسبه إلى آل بيت الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم والذي عاش في عهد الدولة الحسينية في ظلّ كرم سخيّ وتبجيل نبيل من البايات آنذاك وتقام بهذه المناسبة استعراضات لألعاب الفروسية والمداوري والألعاب السحرية والمحفل البدوي الفلكلوري والعرس التقليدي كما تعرف منطقة شطّ الجريد ذات الطبيعة الجميلة والخلاّبة بمقام الوليّ "سيدي بوهلال" الذي كان رجل علم ودين بالمنطقة على امتداد 10 قرون ويزوره سنويا عدد هام من التونسيين والتونسيات للتبرّك وللدعاء فضلا عن «الزردة» السّنوية التي تقام في هذا المزار بحضور مئات من الوافدين، وهي عادة مترسّخة في الجهة أسوة بالزردة التي تقام بمقام سيدي علي بن عون وسيدي احمد التليلي على سبيل المثال وتكمن قيمة هذا الوليّ في أنه يمثّل فضاء حرّا يعبّر له زوّاره عن همومهم ومشاكلهم ليحتل موقعا شبه مقدّس في المخيال الشعبي لمتساكني المنطقة حسب ما أشار له أستاذ علم الإجتماع السيد حفناوي عمايرية كما تعيش نقطة في ثالث أيام عيد الاضحى من كل عام على وقع الاحتفال بتظاهرة متميزة يطلق عليها اسم «الدحلة» وهذه التظاهرة ساهمت على امتداد السنين في تنشيط الحركة الاقتصادية وخصوصا السياحة من خلال توافد آلاف الزوار سواء من جهة الجريد أو الجهات المجاورة أو من بعض البلدان الشقيقة لمواكبة فعاليات هذا الاحتفال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعبي الذي انطلق في البداية في شكل «زردة» ثم تطور إلى أن أصبح له جمهوره الكبير ومكانته الخاصة في ربوع الجنوب الغربي،وتتميز مدينة نفطة باحتضانها لأكبر عدد من أضرحة ومقامات الأولياء ويوجد في كل حي من أحيائها مقام ولي يقيم له المتساكنون «زردة"ويتضمن برنامج «الدخلة» عدة فقرات تساهم في تقديمها الفرق الطرقية والصوفية بالجهة ويشرف عليها القائمون على زاوية سيدي بوعلي إذ تنطلق «الدخلة» عادة من وسط المدينة إلى أن تصل إلى مقام الولي أبي علي السني وتمثل هذه التظاهرة فرصة للتعارف وكذلك مناسبة لزيارة الزاوية للتبرك إذ يجلب الزوار هدايا يقدمونها إلى الشيخ المشرف على المقام والجدير بالذكر أن الولي الصالح سيدي بوعلي السني ولد سنة 493 هجريا ومات بنفطة عام 610 هجرياوفي القصرين وتحسيدا للمشهد العشائري الذي عرفت به هذه الجهة توجد قرابة ال500 زردة سنوية على غرار زردة أولاد موسى،زردة الأفيال،زردة القصارنية زردة أولاد تليل بفريانة وهي مناسبات تذبح فيها الأضحية وتقام بها الأسواق التجارية.

مقارنة بين خصوصيات الزردة في مختلف جهات البلاد(بين الشمال والجنوب):

ظاهرة الوعدة أو الزردة عادة من هذه العادات التي ارتبطت بالتراث الشعبي وهي في الواقع ظاهرة عامة عرفها المجتمع التونسي بكامل جهات البلاد على اختلاف تسميتها من منطقة لأخرى بين "الزردة"بالشمال و"الزيارة"بالجنوب والوسط و"الوعدة" كمسمّى ثالث ببعض جهات الوسط والساحل و قد انتشرت هذه الظاهرة في القرى و المدن حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة من ذلك أنه يتمّ إحياؤها خلال الفترة الصيفية بالشمال وخلال شهر الخريف بالجنوب وهي اختلافات زمانية فرضتها ظروف مناخية بإختلاف حالات الطقس بين صيف بارد بالشمال الغربي للبد التونسية وخريف دافئ بالجنوب التونسي وصيف حار وفرضته خصوصيات جيومناخية لهذه المناطق حيث تنتظم هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطقوس في الشمال وانطلاقا من خصوصيته الفلاحية إثر موسم الحصاد احتفاء بالمنتوج وشكرا للوليّ وتبركا به ووفاء له على مساعدتهم بالأمطار لريّ هذه الأراضي الفلاحية و استمروا في إقامتها اعتقادا منهم أن عدم إقامتها قد تؤدي إلى تأخير نزول الغيث أو زوال البركة فديمومة هذه الظاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي للناس الذي يرتكز بدوره على الفلاحة المورد الأساسي للفئات العريضة من السكان وعليه فهي مؤطرة بالزمان والمكان كما أن الاختلاف يكون في نوع الأكل الذي يقدّم في المأدبة الجماعية خلال زيارة الوليّ تبعا للعادات الغذائية الخاصة بكل جهة فمثلا يقدّم في مثل هذه المناسبات الكسكسي بالمرزقان كأكلة شعبية مميّزة لجهة الكاف وتقدّم أكلة "البركوكش" كأكلة مميّزة لجهة قفصة ولقد لعبت الوعدة دورا كبيرا في الحفاظ على الشخصية الوطنية وعلى التماسك الاجتماعي للسكان و ذلك من خلال الوظائف التي اضطلعت بها أثناء الاحتلال الفرنسي، ففي مقابل وظائف الهياكل الحكومية للاستعمار الفرنسي حافظت على عناصر وأدوار خاصة بثقافة الأهالي وقيم وتراث الأجيال السابقة لتشكل هوية مختلفة كل الاختلاف عن هوية الثقافة الغربية التي يحملها المستعمر ولا يختلف معتقدو سكّان الشمال وسكّان الجنوب التونسي في الزوايا والمقامات فالوليّ حينما يموت تظلّ روحه تنتقل بكل حرية في كل مكان ولقضاء حاجة فعلى الطالب أن يستنجد باسمه ليتم له ما أراد وهذا الفعل كثيرا ما يلجأ إليه الناس سواء من أهالي الشمال أو الجنوب التونسي أثناء وقوع المصائب والكوارث فيستنجدون بالوليّ وقد أضحت هذه العادات راسخة في نفوس الأجيال تتوارث جيل عن جيل و شكلت تراثا شعبيا يشترك فيه عامة الناس ليطبع سلوكهم وأفعالهم وحياتهم اليومية ويؤثر فيهم فالاحتفال السنوي الذي يقام على شرف شيخ الزاوية أو صاحب الضريح كثيرا ما يشكل ظاهرة مقدسة بالنسبة للقبيلة والتي لا يجب تركها بل إقامتها في الوقت المحدد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخاتمة:

إن التقاليد والعادات التي تشكل الإطار العام الذي يتحرك فيه سلوك الأفراد وتنعكس على تصرفاتهم لا يمكن تصنيفها إلى تقاليد إيجابية وأخرى سلبية ولا توجد فوارق بينها حسب الجهات لأنها كل متكامل لا يعرف سمينها إلاّ بغثها فقد شكلت الحاجز الواقي أمام المحاولات التغريبية والإستيلاب الثقافي بفضل تحصينها ضد الاستعمار الفرنسي وضد الغزو الثقافي المسيحي من مقارنة هذه الممارسات وتكاد تتفق جميع الأبحاث الأنثروبولوجية والدراسات الفولكلورية في القول بأن جميع التعبيرات الشعبية أيّاً كان شكلها وأيّا كانت صفتها تنشأ في الأصل بدافع إنساني وإجتماعي، غايتها تقديم تصورات الشعوب للواقع ولإبراز تمثلاتها العامة للوجود والحياة، وأيضا لردم تلك الهوة الكائنة بين ما هو معلوم وما هو مجهول في تفسيرهم للظواهر التي يعجز العقل البشري عن فهمها وإدراكها.

المصادر والمراجع:

- 1 الأكاديمية، الطبعة الأولى، مصر 1994، نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق.

2- الناصر اليقلوطي، مقولات في التراث الشعبي، منشورات تر الزمان، تونس 2005.

3- دكتور محمد لحول: الزوايا والطرق الصوفية بالبلاد التونسية – منطقة دوز عينة

4- مجلة الحياة الثقافية، العدد 112، السنة 25، فيفري 2000، عدد خاص بالتراث الصوفي.

5- ظاهرة الأولياء والزوايا، عمل ميداني، المعهد العالي للتنشيط الثقافين إشراف الأستاذ محمد العزيز بحاحي، السنة الجامعية 1993/1992

6- عمايرية الحفناوي، الشيخ الولي أحمد بن عروس، مجلة الحياة الثقافية، السنة 24، العدد 110 ديسمبر 1999.

7- عمايرية الحفناوي، الطريقة المدانية بتونس: الأصول والطقوس والدلالات، مجلة الفنون والتقاليد الشعبية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نبذة عن المذهب المالكي والمالكية في تونس

بقلم: الناجي الوافي

توطئة:

الحمد لله العليم الأعلم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل:" فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون". ولا يخفى ما لهذه الآية الكريمة من معاني غزيرة في بيان فضل العلم وتعليمه والذي لا يقل شأنا عن الجهاد في سبيل الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، لذلك لا غرابة في أن نرى المسلمين –آنذاك منذ انبلاج فجر الإسلام- قد أقبلوا على طلب العلم والتفقه في الدين لمعرفة أحكام شريعتهم مستندين في ذالك إلى كتاب الله وسنة رسوله ومبحرين بعد ذلك في البحث والاجتهاد لاستنباط الأحكام التي ليس فيها نص واضح وصريح، فنشأ بذلك الفكر الديني وتطور بصورة جعلت من الإسلام دينا للدنيا والآخرة صالحا لكل زمان ومكان. وقد شهد العالم على مر التاريخ الإسلامي بروز جحافل من العلماء والفقهاء والمجتهدين والمجددين مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وفي ذلك ضمان لحفظ الدين واستمراره على المحجة البيضاء خالصا من " شوائب الشبهات منزها عن البدع والضلالات".

وبتوسع الفتوحات انتشر الإسلام ودخل الناس فيه أفواجا، وواكب العلماء هذا المد المبارك وقاموا بواجب الدعوة والتبيين والمنافحة عن الدين وكانوا سندا للفاتحين في إعلاء كلمة الله وترسيخ مبادئ الشريعة السمحاء. ولم تخرج بلادنا التي كان يطلق عليها اسم

إفريقية على هذا المسار حيث دخلها الفاتحون منذ مطلع القرن الأول الهجري وأسس بها عقبة بن نافع مدينة القيروان لتكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر، إلا أنهم لاقوا مقاومة شديدة من جانب سكانها الأصليين – البربر– واستمر الحال بين مد وجزر إلى أن استقر الأمر على يد القائد حسان بن النعمان ثم القائد الفذ موسى بن نُصير الذي باشر تعليم أهل البلاد اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي، ثم جاءت البعثة العلمية التي أرسل بها عمر بن عبد العزيز فقامت بإتمام مهمة تعليم الناس وإرشادهم وتفقيههم وإشاعة مبادىء العدل والحق والرحمة والإخاء والمساواة، فتم إسلام البربر نهائيا والتحامهم بالعرب، ومن ذلك الحين أخذ الفقه في تونس منهج أهل المدينة وتدعم بدخول المذهب المالكي حيث تفاعل معه الأهالي وتمسكوا به ودافعوا عنه حتى أصبح صخرة صماء تتكسر عليها أمواج الغزو الدخيلة ورياح التغيرغير المألوفة. ونحن اليوم نواجه موجات جديدة من الغزو الفقهي أفرزته القنوات التلفزية الفضائية والمنشورات التبشيرية التي وجدت مرتعا خصبا في وجدان بعض الشباب المتعطش لموارد الفكر الديني فطفق ينهل منها بدون روية معرضا عما سواها من موروثنا الفقهي الأصيل ومذهبنا المالكي المبني على السنة والنقل والدليل. ولعلنا كنا نجد العذر للمتهافتين على القنوات والمقبلين على الدعاة نظرا لشبه جفاف منابعنا الدينية وغياب مراجعنا الفقهية خلال العشريات المنقضية ولكننا اليوم نرى لزاما علينا– تأصيلا لكياننا – أن نتدارك الأمر ونعمل بحزم على التعريف بهويتنا والعودة إلى أصولنا لا من باب التعصب والتشكيك في المذاهب الأخرى أو التنقيص من شأنها ولكن حفاظا على الائتلاف وقطعا مع الخلاف وسعيا لمزيد توحيد هذا الشعب الذي أنعم الله عليه بشتى النعم منها وحدة الدين والمذهب واللغة والجنس وذلك ما دعاني للقيام بهذا البحث المتواضع حول المذهب المالكي في تونس والذي استقيت معلوماته من بعض المصادر أذكر منها: كتاب الاعتصام للشاطبي – وأصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي للدكتور محمد رياض الأستاذ بجامعة القاضي عياض بمراكش – والصراع المذهبي بإفريقية لعبد العزيز

المحدوب – وكتاب الإتحاف لابن أبي الضياف وكشف المغطى لفضيلة الشيخ الطاهر بن عاشور، وقد رتبت هذه الدراسة حسب العناوين التالية

- التعريف بالإمام مالك وتلامذته
- التعريف بكتاب الموطإ
- التعريف بالمذهب المالكي
- المذهب المالكي في تونس
- أعلام المذهب المالكي في تونس

والله أسأل أن يلهمني السداد ويهديني سبيل الرشاد

1- التعريف بالإمام مالك

هو إمام الأئمة وفقيه الأمة وشيخ الإسلام وعالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي المدني ولد بالمدينة المنورة سنة ثلاث وتسعين من الهجرة. بدأ بطلب العلم صغيرا فأخذ عن كثير من علماء المدينة مثل أبي بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز وابن شهاب وربيعة بن أبي عبد الرحمان ونافع مولى ابن عمر وجعفر الصادق وغيرهم وانتصب للعلم والإفتاء في سن مبكرة وبقي على ذلك نحوا من سبعين سنة ألف خلالها كتاب الموطأ وأملى في مذهبه على تلاميذه نحوا من مائة وخمسين مجلدا في الأحكام الشرعية وروى عنه ما ينيف عن ألف وثلاثمائة من أعلام الأمصار الإسلامية من الحجاز واليمن والعراق وخراسان والشام وإفريقية والأندلس. وقد توخى مالك الدقة والتثبت في رواية الحديث حيث وضع الموطأ وفيه أربعة أو سبعة آلاف حديث فلم يزل ينقيها حتى بقي فيه حوالي سبعمائة حديث وقد أثبت فيه أحسن ما صح عنده من الآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وفقهاء الصحابة والتابعين وما جرى عليه عملهم بالمدينة المنورة وأضاف إلى ذلك ما استنبطه من الأحكام في مواقع الاجتهاد فكان بحق كتاب شريعة الإسلام. وكانت منهجيته في الفتوى التحري والتزام مبدأ " لا أدري" فيما لا يدري وكراهيته لكثرة الأسئلة التي لا ينبني عليها عمل وكان يقول: ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم – وإني لأفكر في مسألة منذ بضعة عشرة سنة فلا اتفق لي فيها رأي إلى الآن- وسأل رجل مالكا عن مسألة وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة ستة أشهر من

المغرب فقال له : أخبر الذي أرسلك أنه لاعلم لي بها، قال ومن يعلمها قال الذي علمه الله — وكان يقول لتلامذته: إذا جاءك أحد فإن قدرت أن تنجي نفسك قبل أن تنجيه فافعل — لا تجعل ظهرك للناس يجوزون عليه إلى ما يحبون فإن أخسر الناس من باع آخرته بدنيا غيره- وكان لا يتحرج من أن يسأل أهل العلم في زمانه ولا يكتفي بواحد منهم، ولم يكن همه الجواب بقدر ما كان مقصده الوصول إلى الحق بأي طريق وكان يتحرج من أن يقول هذا حلال وهذا حرام بل كان يقول أكره كذا وأرى كذا — إذا لم يكن مصرحا به في الكتاب والسنة — خشية أن يندرج تحت قوله تعالى: "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب". ومن إنصافه رفضه عرض الخليفة المنصور أن يجمع الناس على الموطأ —وتكرر ذلك مع الرشيد لما أراد أن يعلقه على الكعبة — وكان يقول إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق ذلك فاتركوه — وقد تلقى الإمام أصل لا أدري من شيوخه كابن هرمز الذي روى عنه قوله: إني لأحب أن يكون من بقايا العالم بعده "لا أدري" ليأخذ به من بعده — ولما قيل له: إذا قلت أنت لا أدري فمن يدري قال: ومن أنا حتى أدري ما تدرون واحتج بحديث ابن عمر وقال هذا ابن عمر يقول لا أدري فمن أنا — وإنما أهلك الناس العجب وطلب الرياسة- وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري — وقال لما لم يجب إلا على خمسة مسائل من جملة أربعين.

مسألة من أهل العراق وسئل عن سبب ذلك: يرجع أهل الشام إلى شامهم وأهل العراق إلى عراقهم وأهل مصر إلى مصرهم ثم لعلي أرجع عما أفتيتهم به، وليس ذلك عجزا ولا جهلا ولكن يقول لا أدري عندما يكون الذي وصل إليه ظنا لا ينبغي إعلانه أو لم يجد للمسألة شبها فيما سمع وعلم وإلا فإنه من أكابر الفقهاء والمجتهدين.

ولكنه مع ذلك التقي الذي يخشى الافتراء على الله والذي يحرص على اتباع السنة واجتناب البدع والشبهات بل إنه يخير أحيانا ترك السنن خشية الاعتقاد في وجوبها، فقد كره وصل صيام ستة أيام من شوال برمضان حتى لا يعدها الناس منه، وقد وقع ما كان يخشاه من بعض الأعاجم حيث ذكر القرافي أنهم كانوا يواصلون شعائر رمضان من المسحرين والبواقين إلى ما بعد الستة من شوال حيث يظهرون الاحتفال بشعائر العيد، وهو مسبوق في ذلك بفعل الرسول صلى الله عليه

وسلم الذي امتنع عن الخروج لصلاة التراويح خشية الاعتقاد في وجوبها وكذلك ترك أبي بكر وعمر للأضحية حتى لا يراها الناس واجبة، وترك عثمان القصر في السفر خوف اعتقاد فرضيتها.

ولم يتناول الإمام مالك المسائل التقديرية كما فعل الإمام أبو حنيفة نظرا لمنهج الاتباع الذي أخذه عن نفسه واقتداء بشيوخه فقد كان ابن هرمز يقول: أدركت أهل المدينة وما فيها إلا الكتاب والسنة— وهذا شيخه ابن شهاب الزهري سأله عبد الملك بن مروان عن شيء فقال له: أكان هذا يا أمير المؤمنين قال لا قال فدعه فإنه إذا كان أتى الله بفرج — فكان مالك إذا سئل عن مسألة يقول للسائل: أوقعت فيقول له لا فيقول أنظرني حتى تقع — ومن أقواله:" سل عما يكون ودع ما لا يكون" — و"هذه سلسلة بنت سليسلة " وكان يكره كثرة المسائل خاصة منها الافتراضية.

وهذا التحفظ من الإمام مالك ورثه عن الصحابة والتابعين بما رواه في الموطإ من أن أنس بن مالك قدم من العراق فدخل عليه أبو طلحة وأبي بن كعب فقرب لهما طعاما قد مسته النار فأكلوا منه فقام أنس فتوضأ فقالا له: ما هذا يا أنس أعراقية فقال أنس لبتني لم أفعل وقام أبو طلحة وأبي فصليا ولم يتوضأ.

وكان من إنصافه وورعه أنه إذا نزلت نازلة استشار فيها شيوخه وكان يقول: من تصدر قبل أوانه فقد تصدر هوانه — ويقول أيضا: ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والعلم — وقال أيضا: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعا لذلك. ويقول عن نفسه شهد لي سبعون شيخا من أهل المدينة أني موضع لذلك وقد طبق هذه المبادئ على تلاميذه فساروا على منهجه فكان سحنون يقول: أجرأ الناس على الفتيات أقلهم علما.

وفقه الإمام مالك وفتاويه مبنية على الاتباع فهو إما يخبر بحكم شرعي مستند إلى القرآن أو إلى السنة أو عمل أهل المدينة أو على أقوال الصحابة والتابعين وهي كثيرة — وهو بعد ذلك يجتهد داخل هذا الجماع من الأصول — ومن خصائصه تقديم عمل أهل المدينة باعتبارها مهبط الوحي وموطن أكثر الصحابة الأجلاء علما وعملا ومنزلا لأفاضل العلماء من التابعين وتابعيهم فكانت هناك أمور تلقاها الإمام ووعاها لم يتيسر الاطلاع عليها من غيره وهي ما اصطلح عليها بعمل أهل

المدينة فهم أولى من غيرهم فيما طريقه النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال في رسالة إلى الليث بن سعد: الناس تبع لأهل المدينة التي كانت إليها الهجرة وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ويأمرهم وينهاهم فيأتمرون وينتهون ويبين لهم فيتبعونه حتى توفاه الله.

ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته عن ولي الأمر من بعده ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل ويتبعون تلك السنن – فكانت تعابير مالك في الموطإ لا تخرج عن قوله: " هذا الأمر الذي أدركت عليه الناس وأهل العلم ببلدنا" و "ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس "و " الأمر المجمع عليه عندنا " و"السنة عندنا سأل أبو يوسف الإمام مالك عن الصاع فقال خمسة أرطال وثلث فقال ومن أين قلتم ذلك فقال مالك لبعض أصحابه أحضروا ما عندكم من الصاع فأتى أهل المدينة أو عامتهم وتحت كل واحد منهم صاع فقال هذا صاع ورثته عن أبي عن جدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك هذا الخبر الشائع عندنا أثبت من الحديث فرجع أبو يوسف على قوله. وقال له: تؤذنون بالترجيع أي يذكر الشهادتين مرتين وليس عندكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه حديث فالتفت إليه وقال: يا سبحان الله ما رأيت أعجب من هذا ينادى على رؤوس الأشهاد في كل يوم خمس مرات يتوارثه الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا يحتاج فيه إلى فلان عن فلان، هذا أصح عندنا من الحديث. وقد احتج أصحاب مالك على ترك الجهر بالبسملة بالعمل المستمر بالمدينة فقالوا: هذا المحراب الذي كان يصلي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم الأئمة وهلم جرا ونقلهم لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل متواتر كلهم شهدوا صلاة رسول الله ثم صلاة خلفائه وكانوا أشد محافظة على السنة وأشد إنكارا على من خالفها. وقد شهد له كل علماء الأمة بالتفوق في العلم والفقه والفتوى والفضل والزهد والتقوى وسعة الصدر والتواضع واتفقوا على أنه حجة صحيح الرواية، وأجمعوا على دينه وعدالته واتباعه السنن وصحة قواعده، وقد ورد في شأن مالك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة "رواه الترمذي والنسائي بمعناه وذكر الحافظ ابن كثير وغيره أن فيه إشارة إلى مالك رحمه الله . وقال الشافعي : ليس أحد أمن علي في دين الله من

مالك – وقال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وقال ابن تيمية: لا ريب عند أحد أن مالكا رضي الله عنه أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأيا – وقال عنه الإمام الأوزاعي: عالم العلماء ومفتي الحرمين – وقال أبو طالب المكي: كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين وأشدهم بغضا للعراقيين وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين – وقال بشر الحافي: إن من زينة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك – ولخص الحافظ الذهبي فضائل الإمام مالك بقوله: طول العمر وعلو الراية، الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم. لذلك كله اعتبره الإمام الطاهر بن عاشور مجددا لأمر الدين في أول المائة الثانية مصداقا للحديث النبوي " إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها "

تلاميذ الإمام مالك

مكث مالك رحمه الله يعلم الناس ويفتيهم نحوا من سبعين سنة فلا جرم إذن أن يتخرج على يديه عدد كبير من الفقهاء والعلماء وقد روى عنه كما ذكرنا ما ينيف عن ألف وثلاثمائة من أعلام الأمصار الإسلامية سنقتصر على ذكر من اشتهر منهم : **-الإمام محمد بن إدريس الشافعي**، صاحب المذهب المعروف ولد بمكة ثم ارتحل إلى المدينة فلازم مالكا وأخذ عنه الحديث، قال: ليس أحد أمن علي في دين الله من مالك

– **عبد الرحمان بن القاسم**: أنجب تلاميذ مالك الذي لازمه لمدة عشرين سنة عالم له مكانة في المذهب واعتبار موضوعي متقنا حسن الضبط قال عنه النسائي: هو عجب من العجب: الفضل والزهد وصحة الرواية وحسن الدراية – وقال بن حارث: هو أفقه الناس بمذهب مالك – وقال الحرث بن مسكين: كان في ابن القاسم الزهد والعلم والسخاء والشجاعة والإجابة – وقال أبو إسحاق الشيرازي: جمع بين الفقه والورع وصحب مالكا عشرين سنة وتفقه به وبنظرائه – وكان لا يغيب عن مجلسه إلا لعذر، عالما بالمتقدم والمتأخر من علم مالك وهو قد نقل مذهبه للناس ليعملوا به والذي يعمل به هو المتأخر دون المتقدم ولو نقل قول مالك مطلقا لأورث وقفا وحيرة، وإذا اختلف الناس عن مالك فالقول ما قاله ابن القاسم، وقول مالك في المدونة أولى من قول ابن القاسم فيها لأنه

الإمام الأعظم، وقول ابن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها لأنه أعلم بالمذهب، وقول غيره فيها أولى من قوله في غيرها لصحتها، **والمدونة** هي كتابه الذي أملاه على الإمام سحنون وفيها أقوال مالك وفتاويه. جاء في ترتيب المدارك: قال الحرث بن أسد: لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب فقال له ابن وهب: أوصني فقال: اتق الله وانظر عمن تنقل- وقال لابن القاسم : اتق الله وانشر ما سمعت وقال لي: اتق الله وعليك بالقرآن، فلم يرني أهلا للعلم – وقال محمد بن الحارث رأيت في بعض الروايات أنه كان يستفتى فلا يفتي ويقول لم يرني مالك أهلا للعلم – ويستفاد من هذه الرواية أنه كانت للإمام مالك رضي الله عنه فراسة ورؤية نورانية يستشف بها موازين العلم ومراتبه بين تلامذته وهذا ما لاحظه في ابن وهب وما له من عناية برواية الأحاديث وجمعها فكان كذلك محدثا راويا كما قال عن نفسه لما جاءه أسد بن الفرات: إنما أنا صاحب آثار، وأما ابن القاسم فكانت همة العلم والفتوى عليه لائحة فأمره الإمام بنشر ما سمعه منه لأنه أهل لذلك وكذلك كان، فعن طريقه وردت المدونة الكبرى أصل علم مالك وفتاويه برواية سحنون، وأما الحرث بن أسد فلم يكن لاحقا بصاحبيه ولا توفرت فيه أهلية الرجلين فأمره بتلاوة القرآن وأن يكون ذلك الأمر مقتصرا عليه وفي كل خير.

– **عبد الله بن وهب**: يأتي في المرتبة الثانية بعد ابن القاسم إلا أن عنايته برواية الحديث كانت أكثر من الفقه وقد أورد له سحنون أحاديث كثيرة في المدونة من باب الأمانة العلمية وكان يحتج بها لدى الإمام مثل حديث تخليل الأصابع، فقد قال ابن وهب: سئل مالك عن تخليل الأصابع في الوضوء فقال ليس ذلك على الناس، فتركته حتى خف الناس فقلت له عندنا في ذلك سنة، قال وما هي، قلت حديث الليث بن سعد وعمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمان الحلي عن المستورد بن شداد قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه – فقال: هذا الحديث حسن وما سمعت به قط إلا الساعة – ثم سمعته بعد ذلك سئل فأمر بتخليل الأصابع.

- **أسد بن الفرات:** أخذ الفقه عن ابن زياد ثم رحل إلى المشرق للسماع من مالك مباشرة فلازمه مدة ثم انتقل إلى العراق فأخذ من المذهب الحنفي وعاد إلى مصر فعرض على أصحاب مالك فكرة المزج بين المذهبين إلا أنه لم يجد من يسايره في ذلك إلا ابن القاسم فدون من أسئلته له ومباحثاته معه كتاب الأسدية وعاد به إلى افريقية إلا أنه لم يجد اقبالا فكان الناس يقولون له: حدثنا ب: "إخال" و"أحسب" و"أظن " وتركت الآثار وما كان عليه السلف .

- **عبد الله بن فروخ القيرواني:** المسمى فقيه أهل المغرب والذي ارتحل إلى المشرق فسمع عن جماعة من العلماء وأخذ عن مالك

- **علي بن زياد** التونسي: عالم المغرب أخذ عن مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد وروى عن مالك الموطأ وهو أول من أدخله إلى المغرب

- **البهلول بن راشد:** وهو من القيروان, قرأ على مالك الذي سماه عابد بلده

- **عبد الله بن غانم:** من علماء القيروان سمع عن مالك ورجع إليها يعلم الناس وانتفع به الكثير، وكان يوجه بمسائله أيام قضائه إلى مالك فيما ينزل به من نوازل الخصوم فتأتيه الإجابة

2 – التعريف بالموطأ

يعتبر الإمام مالك أول من ألف فأجاد ورتب الكتب والأبواب وضم الأشكال وهو بحق عميد المؤلفين وسيد المصنفين والموطأ أكبر دليل على ذلك فهو أقدم كتاب يقرأه الناس إلى اليوم، قيل إنه ألفه بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وقد سماه الموطأ لأنه عرضه على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأه عليه قال مالك: فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الصحابة والتابعين ورأيي وقد تكلمت برأيي وعلى الاجتهاد وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا ولم أخرج من جملتهم على غيره. وقال فيه الإمام الدهلوي: لقد انشرح صدري وحصل لي اليقين بأن الموطأ أصح كتاب يوجد

على وجه الأرض بعد كتاب الله وهو أصل للمذاهب الإسلامية هداية وإرشادا وصحية ومنهاجا وهو عدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه، ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه، وهي بالنسبة له كالشروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة للغصون. وقال الذهبي: وإن للموطإ لوقعا في النفوس ومهابة في القلوب لا يوازيها شيء. وقال الشافعي: ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك وقد قيل فيه: أعم الكتب نفعا للفقيه موطأ مالك لا شك فيه رواة الموطإ مثلما أقبل الناس على علم مالك والأخذ عنه فقد تلقوا كتاب الموطأ الذي صنفه بكل شغف خاصة من طرف تلاميذه الذين تنافسوا في روايته ونقله إلى الناس في جميع الأمصار الإسلامية وقد برز منهم بالخصوص:

- من أهل المدينة: (17) منهم معن بن عيسى القزاز – عبد الله بن مسلمة القعني
- من أهل مكة: يحي بن قزعة – الإمام الشافعي
- من أهل مصر: (10) منهم عبد الله بن وهب وعبد الرحمان بن القاسم
- من أهل المغرب من الأندلس (13) منهم زياد بن عبد الرحمان الملقب شبطون – يحي بن يحي الليثي
- من أهل القيروان: أسد بن الفرات – خلف بن حرير – علي بن زياد – عيسى بن شجرة
- من أهل الشام: (7) منهم عبد الأعلى الغساني

وأما أشهر نسخ كتاب الموطأ فهي: نسخة يحي بن يحي المصمودي ونسخة بن وهب ونسخة عبد الرحمان بن القاسم ونسخة عبد الله بن مسلمة القعني ونسخة عبد الله بن يوسف الدمشقي ونسخة معن القزاز.

مجمل تاريخ مقاومة الشعب التونسي للاستعمار الفرنسي ومساهمة أولاد عون وجهة سليانة في النّضال الوطني من انتصاب الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 إلى الاستقلال

للمرحوم: عبد القادر زروق

(2)

(في الذكرى الخامسة والتسعين لميلاد المغفور له بإذنه تعالى المرحوم الشيخ المناضل من الرعيل الأول عبد القادر زروق يسر أسرة مجلة الإتحاف أن تشرع في نشر سلسلة مقالات من مخطوط تركه الراحل، كان — رحمه الله — ينوي نشره في كتاب بعنوان "**تاريخ الحركة الوطنية بربوع أولاد عون ومقاومة أهالي مناطق سليانة للاستعمار الفرنسي**" وذلك تعميما للفائدة.)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤتمرات والمؤامرات الاستعمارية ضدّ اللّغة العربية والدين الإسلامي الحنيف:

1-وقع نصب تمثال للكردنال لافيجري بباب البحر تخليدا لذكراه حيث تجول في الجنوب التونسي لتنصير التونسيين لكنّه لم يفلح .

2-تمّ في 7و11 ماي 1930 عقد مؤتمر مسيحي صليبي سمّي بالمؤتمر الأفخرستي في ضاحية قرطاج فتظاهر الطلبة الزيتونيّون وشاركهم الشعب التونسي في تلكم المظاهرات احتجاجا على تنظيم ذلك المؤتمر حيث دعي إليه جمع غفير من القساوسة

والرّهبان من فرنسا وغيرها خصوصا الأباء البيض وقد سمّوا بهذا الإسم لارتدائهم اللّباس الأبيض برانيس بيضاء.

وأصدر الحزب القديم بيانا مشهّرا بذلك المؤتمر الصليبي مع الملاحظة أنّه في ذلك الوقت من عام 1920 إلى عام 1934 كان موجودا حزبا واحدا وهو الحزب الحرّ الدستوري الذي تأسّس عام 1920 برئاسة عبد العزيز الثعالبي.

3-انعقاد مؤتمر اللّغة العربية عام 1932

في سنة 1932 انعقد مؤتمر آخر ضدّ اللّغة العربية أسّسه المستشرق الحقود "ويليام مارسي" مدير مدرسة العطارين المسمّاة آنذاك المدرسة العليا للغة والآداب وهي مختصة بالترجمة من العربية إلى الفرنسية والعكس وكان "ويليام مارسي" أستاذا في اللّغة في جامعة السربون بباريس وقد تتلمذ عليه الدكتور طه حسين وغيره من الأساتذة الكبار المصريين وكان محور المؤتمر السعي لترك اللغة العربية عن الاستعمال وتعويضها بلغة الشلحة وهي لغة كانت مستعملة من بعض التونسيين بالجنوب التونسي وبلاد القبائل بالجزائر وجمع ذلك المؤتمر أقطاب اللغة من تونس علماء جامع الزيتونة والجزائر والمغرب والمستشرقين المتواجدين في تونس مثل "لاكو" استاذ فرنسي بالصادقية و"ميرا" مدير مدرسة الصادقية وبعض القساوسة المستشرقين بحجة أنّ اللغة العربية مائعة لا تصلح للاستعمال فهي عاجزة عن تسمية الآلات التقنية العصرية فتصدى له الشيخ حميدة بيرم شيخ الإسلام الحنفي وردّ عليه ردّا مفحما ومرّ وكان من نتيجة ذلك أن وقع عزله عن خطته الشرعية ثمّ وقع ردّ الاعتبار إليه في عهد المغفور له المنصف باي الذي أصدر أمرا بتسميته شيخ الإسلام الحنفي.

حوادث التجنيس عام 1933:

ملخّصها أنّ أحد المتجنسين التونسيين توفي في بنزرت فاراد أهله أن يقبروه في مقبرة المسلمين فمنعهم الوطنيون بزعامة زعيم بنزرت المرحوم الحبيب بوقطفة فالتجؤوا

إلى مفتي بنزرت آنذاك الشيخ إدريس فأفتى بمنع دفن المتجنسين في مقابر المسلمين ثم مات إثره عبد القادر القبائلي رئيس منظمة المتجنسين فأراد المقيم آنذاك منصورون استصدار فتوى من المجلس الشرعي بتونس فأضرب الطلبة الزيتونيون عن الدروس وتعطّلت بسبب ذلك الدروس بجامع الزيتونة وقامت مظاهرات في كلّ مكان وقامت الصحافة التونسية من عربية وفرنسية ضدّ محاولة الحكومة وهناك برز شبان مثقفون تونسيون في التشهير بالاستعمار الفرنسي أبرزهم الأستاذ الحبيب بورقيبة والدكتور الماطري والطاهر صفر والبحري قيقة وكان ذلك سببا في إدخالهم ضمن اللّجنة التنفيذية للحزب الدستوري مع قادته الأصليين الأستاذ محي الدين القليبي والمنصف المستيري وصالح فرحات حسب مؤتمر الحزب بنهج الجبل عام 1933.

الحركة الوطنية بربوع سليانة:

1-وفي خضم هذه الأحداث الكبرى قام العبد الضعيف عبد القادر زروق من سليانة مع ثلّة من أقرانه تلاميذ مدرسة المحطة بباب عليوة بمظاهرة تلميذيّة ضدّ التجنيس (أنظر كتاب صفحات من تاريخ سليانة الحديث صفحات 80 إلى 84 يغني ذلك عن سرد الأحداث)[1]. ومن هنا برز النضال الوطني بربوع أهالي سليانة وما كان يسمّى

[1] أما نشاطه السياسي والذي استحق به عن جدارة وباجماع المناضلين لقب زعيم لولاد عود فقد بدأه في سن مبكرة جدّا، اذ لم يكد يتخطى وقتها مرحلة الطفولة بعد، كان ذلك سنة 1933 وهو تلميذ بمكتب نهج المحطة قرب باب عليوة بالعاصمة، عندما قاد مظاهرة تلمذية من نهج المحطة الى مقر ادارة العلوم والمعارف نهج باب بنات، وعنها يقول "لقد كان لسكناي بمدرسة القبة وعيشي مع طلبة كبار كانوا يتحدثون دائما عما يحتمل في نفوسهم ازاء احداث التجنيس وقيامهم باضراب عن الدروس كان مرتكز حوارهم في تلك الايام الامر الذي ملأني حقدا على المستعمر ودفعني الى التحرك داخل فصلي في الجدّ القيام باضراب مساندة لمقاومة التجنيس، وعرضت الأمر على تلاميذ فصلي الذين استجابوا كلّهم باستثناء اربعة او خمسة انفار، وسرعان ما برزت شبه قيادة كنت أحد أفرادها، توزّعت في الحين قيادة حوالي 25 تلميذا، وتوجهنا الى مقرّ ادارة العلوم والمعارف (مقر وزارة التربية والعلوم حاليا) وهناك طلبنا مقابلة من تبلغه احتجاجنا، فاستقبل المسؤول عن التعليم الابتدائي وفدا من اربعة افراد نيابة عن بقية التلاميذ وبعد ان استمع إليها- وكنت المتحدث باسمهم،

عرش أولاد عون الذين سبق أن قلنا قاموا بالمقاومة المسلحة عام 1881 ضدّ الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية بقيادة محمد بن ابراهيم الحمادي وفي عام 1934 في سبتمبر لما ابعد الطاغية "بيروطون" زعماء الحرب.

2-قدّمنا احتجاجا على ابعاد زعماء الدستور الحبيب بورقيبة والماطري ومن معهم تحت عنوان "احتجاج أولاد عون" نشر بجريد الوزير الأسبوعية آنذاك يوم 27 سبتمبر 1934 تحت عدد 418.

3-وجمعنا كميّة من المال للمبعدين.

4-وأسّسنا أوّل شعبة دستورية بجهة سليانة للديوان السياسي للحزب الدستوري تحت عنوان شعبة سيدي حمادة الدستورية.

5-ثمّ في عام 1936 على إثر صدور قرار تعسّفي من المقيم "بيروطون" في شأن الوظيفة العمومية مناهضا للغة العربية قمنا بالإضراب عن الدروس بجامع الزيتونة ثم قمنا بمظاهرتين

6-الأولى يوم 21 فيفري والثانية في 22 فيفري 1936 فوقعت مشادات وتصادم مع القوّات الاستعمارية الفرنسية ونشرت تلك الأحداث في جريدة الزهرة في 22 فيفري تحت عدد 8656 وفي يوم 23 فيفري تحت عدد 8658 من عام 1936 خصوصا وقد استعمل فيها السلاح الناري لأنّ أحد الطلبة أطلق النّار على الجيش الفرنسي فكانت تلك المظاهرات الدّامية سببا في تغيير السياسة الفرنسية في تونس ونتج عنها تبديل المقيم "بيروطون" وعوّض بالمقيم "أرمان فيون" ووقع سراح الزّعماء من المنفى وقامت احتفالات في تونس نتيجة لذلك الانتصار الباهر

أمامها ما ملخصه: عليكم ان لا تفعلوا الا بعلمكم فأنتم صغار، وعمل مثل هذا يضر بمستقبلكم، ثم زاد: عودوا حالا الى فصلكم وسأكلم مديركم كي يسامحكم هذه المرّة، على شرط ألاّ تعودوا إلى مثل هذا.

للشعب التونسي كما تغيرت الحكومة في فرنسا حيث تولّى الحكم فيها الجبهة الشعبية برئاسة "ليون بلوم" زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي وجاء إلى تونس وكيل وزارة الخارجية الفرنسية "البيرفيانوا" والذي أعلن أنّ الحكومة الفرنسيّة منحت الشعب التونسي الحريات العامة وهي حريّة القول وحريّة النشر وحريّة الاجتماع.

وتبعا لذلك اتسع نطاق الحزب الدستوري فتكوّنت عدّة شعب دستورية بجهة سليانة عام 1937 وهي:

-شعبة سليانة المدينة برئاسة الأخ الحفناوي بن عطية وعضوية الإخوة أحمد بن عبد الرحمان والحاج علي الكريفي ومحمد المسروقي والحاج محمد العطياوي.

-شعبة الزريبة برئاسة الأخ عبد الرحمان بن الصغير والكاتب العام الأستاذ عبد الله الزربي ومن معهما.

-شعبة الربع برئاسة الأخ الحاج بن سليمان وأعضاء الأخوة عمر بن الحاج وابراهيم بن الكحلة وغيرهم .

-شعبة الخلصة برئاسة الأخ الحبيب بن الحالق.

-شعبة القصور بجهة السفينة برئاسة الأخ عبد الحميد بن عبد الملك حفيد الشيخ محمد بن ابراهيم الذي قاد مقاومة أولاد عون المسلّحة للاحتلال الفرنسي عام 1881.

زيارة الزعيم الحبيب بورقيبة لسليانة عام 1937 :

أوّل عمل قامت به شعبة سليانة آنذاك برئاسة الأخ الحفناوي بن عطية بمؤازرة بقية شعب المنطقة بسيدي حمادة والزريبة والخلصة والربع والقصور وهو استقبال الزعيم بورقيبة في يوم مشهود حيث امتطى صهوة جواد ودخل مدينة سليانة في أمواج من الوطنيين من سليانة والمناطق الأخرى ثم ألقى خطابا تاريخيّا، يكفي أن نشير هنا لأهمية ذلك الاجتماع والاحتفال بالزعيم بورقيبة والحماس الفيّاض أن الحزب عقد

اجتماعا كبيرا في حمام الأنف حضره الدكتور الماطري رئيس الحزب والزعيم بورقيبة الأمين العام للحزب آنذاك فألقى الزعيم بورقيبة خطابا نوّه فيه بأهالي أولاد عون وقال أنّه يعول عليهم عند الحاجة في إشارة للكفاح المسلح في يوم ما، وفعلا وفّى أهالي سليانة بعهدهم وكانوا أوّل القائمين بالمقاومة المسلحة عام 1952 عند إعلان الثورة يوم 18 جانفي.

المشاركة في مؤتمر الحزب عام 1937

في غضون شهر نوفمبر 1937 عقد الحزب المؤتمر الأول في نادي نهج التريبونال ببطحاء خير الدين بتونس العاصمة وقد شاركت باسم شعب منطقة سليانة في اللجنة السياسية الذي انبثق عنه المطالبة ببرلمان تونسي وتمّ القيام بالمظاهرات والاجتماعات حتى تستجيب السلط الاستعمارية الفرنسية لذلك وتمنح الشعب التونسي برلمان.

وفي 3 مارس عام 1938 وقع اجتماع المجلس الملي للحزب الذي يتكون من الجامعات الدستورية وبعض الشعب والأفراد الذين لهم إشعاع كبير في حقل النضال الوطني فحضرت أيضا في هذا الاجتماع الذي تقرّر فيه العمل على تحقيق مطلب لبرلمان المنبثق عن مؤتمر نوفمبر 1937 والقيام بالمظاهرات والاجتماعات حتى تستجيب السلط الاستعمارية لمطلب الشعب في منحه البرلمان وفي صورة تعرض الحزب أو أفراد الحزب للقمع يقع إعلان العصيان المدني وهو الامتناع عن أداء الضرائب والخدمة العسكرية وهي الطريقة التي ابتكرها الزعيم غاندي في الهند ومقاطعة شراء البضائع الأجنبية المستوردة قصد تعجيز السلط الاستعمارية وشلّ الحركة الاقتصادية والحربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيء من تاريخ قريتي

بقلم: الصادق السنوسي

بعد زيارة للصديقين عبد القادر الهاني ومحمد الطاهر زروق لمقرين، ومنزل أحي أحمد تحادثنا أطراف الحديث حول الذكريات القديمة خاصة في ما يخص تاريخ وتراث سيدي حمادة وتأثيره المباشر على أبناء القرية أولا، ثم على المحيط الخارجي وهو الأهم، وذلك لمدة قرن كامل من الزمن، لذلك أردت أن أذكر بعض المواضيع والعناوين التي هي في حاجة إلى الدراسة المعمقة.

أريد بمداخلتي هذه التعريف والتذكير بجزء من تاريخ سيدي حمادة[2] ومدى تأثيره المباشر على أبناء القرية أولا ثم على المحيط الخارجي وهو الأهم، وذلك لمدة قرن كامل من الزمن. ويتلخص ذلك في ثلاثة عناوين هامة، هي -بالتأكيد- في حاجة إلى الدراسة المعمقة.



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولا: عمل المؤدبين من أبناء سيدي حمادة الذين كانوا منتشرين في أماكن كثيرة من البلاد التونسية، هذا العمل الذي لم يكن مقتصرا على تحفيظ القرآن وتركيز الشعائر الدينية فحسب، بل تعداه إلى التوعية العامة والتشهير بالمستعمر، وتهيئة تلاميذهم للالتحاق بجامع الزيتونة.

ثانيا: تلاميذ جامع الزيتونة من أبناء سيدي حمادة الذين استفادت منهم تونس خاصة بعد الاستقلال في ميدان التعليم وغيره.

---

[2] قرية سيدي حمادة هي إحدى قرى معتمدية سليانة الجنوبية، تقع عند منبت جبل السرج من جهة الشمال يحدّها شرقا صدفة من عمادة برقو البحيرين وغربا عمادة سيدي مرشد من معتمدية سليانة الجنوبية. (التحرير)

ثالثا: النظام الجمعياتي والحس المدني لأكثر من ستين سنة.

إن خير ما أبدأ به كلامي قولة شهيرة للخليفة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: ربوا بنيكم، علموهم، هذبوا فتياتكم فالعلم خير سلام.

وقد انطبقت هذه المقولة على فترة من تاريخ قرية سيدي حمادة لما كانت الجهالة تعم كافة المناطق الداخلية للبلاد التونسية خاصة بين الحربين العالميتين وحتى استقلال تونس سنة 1956.

في هذا الوقت كانت توجد بقرية سيدي حمادة أربعة كتاتيب قارة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم المبادئ الأولى للغة العربية والعلوم الدينية، ينتقلون بعدها إلى المناطق المجاورة كمؤدبين وناشرين للمعرفة وغرس الروح الوطنية في تلك الربوع في زمن كان فيه كل ذلك جريمة يعاقب عليها القانون الاستعماري.

وهذا عدد من أولئك المتخرجين من الكتاتيب وحفظتهم كثير وكثير جدا.

وسآتي في هذا الباب على بعض الأسماء التي أذكرها مقسمة إلى ثلاثة أجيال.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجيل الأول:

زروق بن زروق-المنوسي بن المنوسي-إبراهيم بن المنوسي-علي بن الطاهر-محمد بن الطاهر-المؤدب علي المنوسي-الطاهر بن عبد الملك-أحمد بن علي بن عمر-محمد بن العربي بن عمار-محمد صالح الوافي-محمد البرني-عبد العزيز بن عمار-محمد الخذيري-يونس بن الطاهر-عثمان بن الطاهر-الطاهر بن صالح-عبد الرحمان التارزي-المؤدب بن وناس-العايش-عبده بن الشتيوي-التهامي بن الشتيوي-الحبيب بن أحمد.



المشائخ: عبد الحفيظ بن عمار، الزائر بن زروق، محمد الصالح الوافي، عبد العزيز بن عمار، صالح بن زروق.

الجيل الثاني:

صالح بن زروق-العربي بن عمار-الزاتر بن زروق-عبد القادر السنوسي-محمد بن محمد صالح السنوسي-محمد الطاهر بن الطاهر-عبد الملك بن الطاهر-صالح بن بالقاسم-مختار بن بالقاسم-محمد البشير بن أحمد بن علي-الحبيب الشهيبي-عبد الستار التارزي-أحمد بن التارزي-عبده بن الطاهر التارزي-محمد بن عثمان-عبد العزيز الجيلاني-الناجي بن سعد-محمد الصادق بن الطاهر-محمد الكبران-علي بن العايش-محمد الضيف-عبد الله العياري-المولدي بن زروق.

الجيل الثالث:

علي بن عبد السلام-الهادي بن عبد السلام-الحبيب بالحاج بكار-الهادي السنوسي-عبد القادر بن الطاهر-محمد العربي بن الطاهر بن عبد الملك-عبد الرحمان الوافي(أصغر حافظ)-عبده بن العايش-إبراهيم بن الطاهر-عمار بن الطاهر-عبد الرحمان زروق-عبد الرحمان الشتيوي-الصادق بن البحري.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حاصلون على شهادة التطويع الزيتونية: محمد الصالح بن زروق، التوهامي بالشتيوي، الحبيب بالطيب، عبد القادر زروق

أما الجزء الثاني من المتخرجين من كتاتيب سيدي حمادة فسيلتحقون بجامع الزيتونة، وقد تخرج كثير منهم حيث أصبحوا عدول إشهاد وهم كثيرون وكتبة بالمحاكم ثم بعد ذلك أساتذة ومعلمون وفي وظائف مختلفة وعلى سبيل الذكر لا الحصر أذكر بعضهم هنا مقسمون أيضا إلى ثلاثة أجيال.

الجيل الأول:

الطاهر بن صديق-زروق بن زروق-المؤدب بن عمار السنوسي-لسعد بن زروق-الأمجد بن

زروق-السنوسي بن مؤدب-علي بن صديق-التهامي بن العربي-محمد صالح البحاري-إبراهيم بن الوافي-علي بن إبراهيم-صالح بن الهاني-محمد صالح بن عمار-الكامل بن عمار-محمد صالح بن زروق-عبده الأبيض العربي-الشيخ صالح بن عبد الرحمان-عبد الحفيظ العربي-الهاني بن الهاني-الشيخ صالح بن عليه-عبده بن الشتيوي-التهامي بن الشتيوي-عبده بن عليه-المكي بن العربي.

الجيل الثاني:

أحمد بن الزائر-مختار بن صديق-مصطفى السنوسي-أحمد التارزي-الكامل بن مبارك-مصطفى القاضي-الشيخ عبد القادر زروق-عبد الحميد الهاني-الهادي زروق-عبد الستار العربي-محمد بن عثمان-عبد الستار الهاني-عبد الرحمان الهاني-عبد الوهاب الهاني-فرج بن رحومة-الكامل بالحاج بشير-أحمد العربي-إدريس بن أحمد بن علي-الطاهر البلوشي-الكامل التارزي-عبد الستار التارزي-بالقاسم بلعوج-عبدالله-عبد الستار بن عبد الصمد-عبد الصمد-عبد الملك بن عبد الصمد-عبده بن الزين-الصادق بن الوافي.

الجيل الثالث:

محمد بن أحمد بن عبد القادر-صالح بالحاج الصادق-علي بالحاج الصادق-الخالد بن الزائر-حسونة بن صديق-مختار السنوسي-عمر بن إبراهيم السنوسي-محمد بن عبدالله-الصادق بن أحمد السنوسي-أحمد السنوسي-التهامي بن الحسن بن الطيب-الهادي الشهيبي-مختار العربي-عبد الستار بن فرج-محمد بن حسين بن الصادق-عبد القادر الهاني-الحبيب الهاني-مختار الهاني-مختار بن عبده بن الصادق-عبد الرزاق زروق-عبد القادر بن محمد الصالح-بشير بن زروق-عبد القادر بن أحمد بن علي-الكامل الهذيلي-كمال بن عبدالله-محمد الحبيب الشتوي-الفاضل العربي-محمد بن الصادق-عبد الستار بن التهامي-مختار بن التهامي-عبد الرحمان بن مختار-أحمد بن الصادق البحاري.

قمت بهذا الجرد التقريبي لأثبت أن قرية سيدي حمادة كانت قرية مشعة مثالية ومعطاء.

نشاط ثقافي:

خلال ذلك وفي سنة 1954 اجتمع ثلة من شباب الزيتونة من أبناء سيدي حمادة للخروج عن المألوف واقتحام ميادين أخرى لمسايرة العصر والانفتاح على المحيط، فكان التفكير في تكوين جمعية ثقافية أطلق عليها إسم **"الجمعية الثقافية للتلميذ الحمادي"** هدفها تكوين مكتبة جامعة تقدّم لضعاف الحال الكتب الدراسية مع مكتبة قيمة جمعت فيها مؤلفات لأكبر الكتّاب والمفكرين التونسيين والعرب، مع القيام بملتقيات ومحاضرات لأساتذة ومشائخ معروفين أمثال الأستاذ الكامل بن عمار والشيخ عبد الستار الهاني.





وكانت أول هيئة هذه الجمعية متكونة من الشبان: الصادق السنوسي-أحمد السنوسي-مختار العربي-مختار بن عبد الصادق-محمد بن عبد القادر-الشرقي-الهادي الشهيبي-محمد بن الوافي-الكامل بن مبارك.

ثم توسعت بعد ذلك لتشمل عبد القادر الهاني-مختار بن صديق-الكامل الهاني-الكامل التارزي-إدريس بن أحمد بن علي.





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشاط رياضي:

وبالتوازي مع هذه الجمعية الثقافية وقع تكوين جمعية رياضية أطلق عليها إسم "النجم الرياضي الحمادي" تقوم بمباريات أثناء السنة ضد بعض الجمعيات والأحياء بتونس العاصمة. أما أثناء العطلة الصيفية فيتركز نشاطها بقرية سيدي حمادة وإقامة مباريات ضد



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدن المجاورة؛ سليانة، الربع، الوسلاتية، ثم أشعت وتفتحت على القرى المجاورة كبرقو وسيدي مرشد...

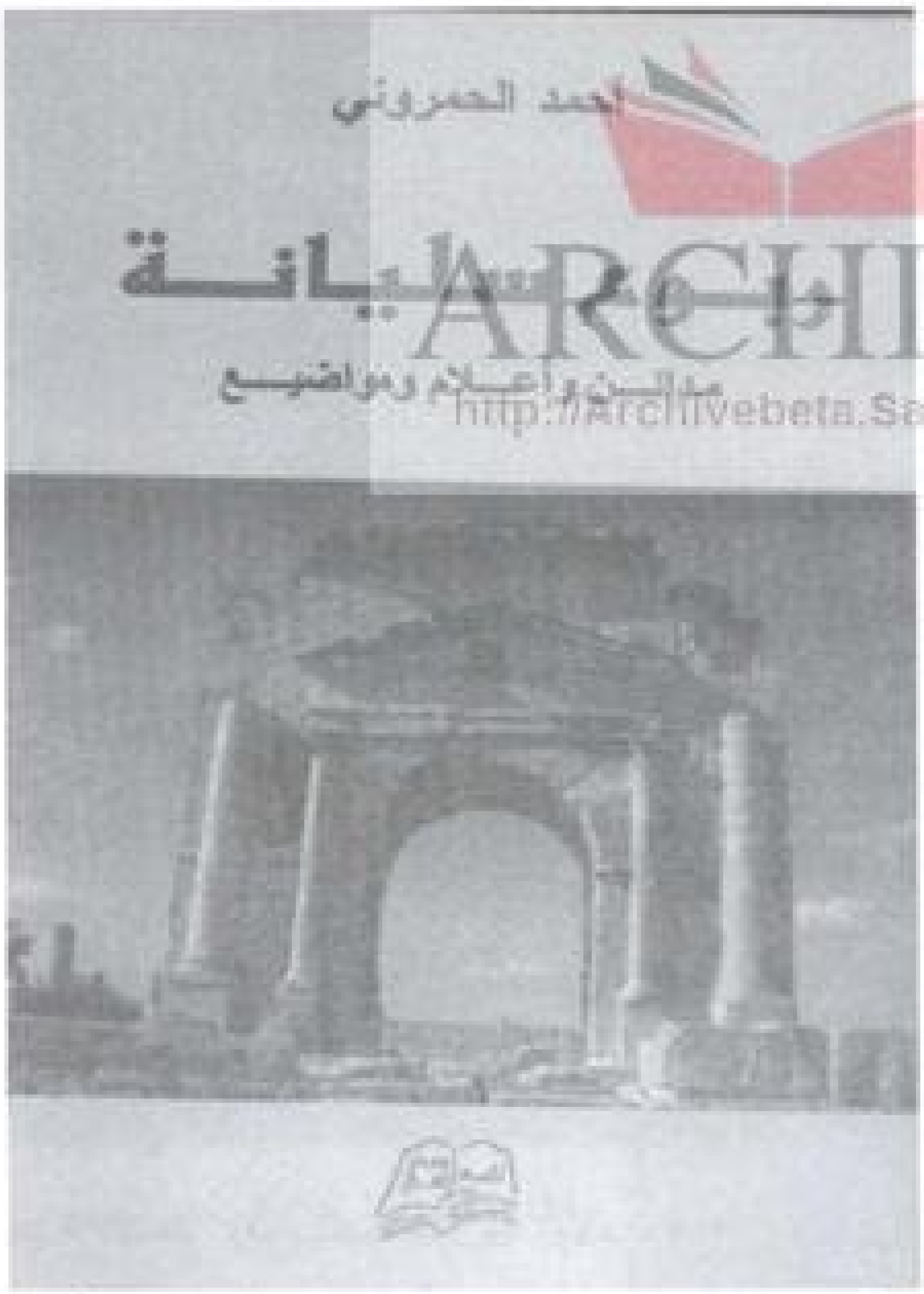
وقد تكونت المجموعة من؛ الصادق السنوسي، أحمد السنوسي، مختار العربي، عبد الفتاح التارزي، محمد الطاهر زروق، الكامل الهذيلي، علي بالحاج الصادق شعارهم رياضة، تعليم، ثقافة، تفتح.

هذا ولا يمكن أن أنسى جنود الخفاء الذين كانوا إلى جانبنا والذين أعانونا ماديا وأدبيا خاصة في الظروف الحالكة وهم عمال سيدي حمادة بتونس وقد سميناهم في ذلك الوقت بهيئة الدعم ومن أهم هؤلاء؛ أولاد الحاج الصادق-محمد علي بن مريم-أحمد الشهيبي-الطاهر بن بريال-الحبيب الغرداوي-مصطفى التواتي-محمد بن الأمجد-إبراهيم باش حامية-سالم بن علية-أحمد والطاهر بن العربي-عبد الحميد الخذاري-عبده بن حفصية-المؤدب بن عثمان-عبده بن بالقاسم-الناجي الشهيبي.

قراءة سريعة في كتاب "ربوع سليانة" للأستاذ أحمد الحمروني

بقلم: عمر عبد الله الكنزاري

صدر للأستاذ احمد الحمروني عن دار سحر للنشر كتاب "ربوع سليانة مدائن وإعلام ومواضيع" وهو آخر سلسلة تناولت أقاليم الشمال الغربي الأربعة: باجة، جندوبة، الكاف، سليانة. وقد قدم له الدكتور الصادق بن يعزيز والدكتور يوسف العثماني.



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب محاولة جادة لتقديم جهة سليانة إلى كل متتبع لشؤنها وتطورها عبر العصور والأزمنة للتمكن من تحديد موقعها في السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي للبلاد التونسية.

في هذا المؤلف مراوحة بين التاريخ والجغرافيا من خلال فقرات حمروية أحكم المؤلف جر القارئ إليها متعمقا أحيانا ومكتفيا بالتحليق أحيانا أخرى وقد بدا الجهد المبذول سخيا خاصة عند الحديث عن منطقة مكثر

التي يبدو أنها شدت انتباه المؤلف أكثر من غيرها لا من خلال المتن فقط بل حتى من الإهداء وصورة الغلاف وهي منطقة لعمري جديرة بذلك لما تزخر به من معالم تبرز مدى عراقتها وتجذرها.

غير أن الشجرة لا يجب أن تحجب الغبة حتى وان كانت وارفة الظل خلابة الازهار.

ففي باب الماضي النضالي للجهة ضد الاستعمار الفرنسي تميزت مناطق وعروش بما جعل التاريخ لا يغفلها فالشعبة الدستورية بالأخوات (معتمدية قعفور) كانت الوحيدة من الجهة التي شاركت في مؤتمر قصر هلال في 2 مارس 1934 في شخص ممثلها المناضل فرحات الكنزاري. وعرش الكنزاري برز بالنضال في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد ابان الفترة الاستعمارية ما جعل المستعمر يزج بالقيادات في السجن: فهذا المرحوم الطيب الكنزاري يودع السجن مرارا وذاك منور الكنزاري يبعد إلى قرنبالية بعد القبض عله وهو الذي ترأس مؤتمر نحج المتوبورتال المعروف. وغيرهما كثير وقد ذكرت هذه في وثائق أمنية فرنسية تملك العائلة نسخا منها.

أما في منطقة الكريب وقعفور فهناك صفحات نضالية الحرم فيها رجال برزة أمثال عبد ربه ومحمد بن رابح وعلي بن عيسى الذي يملك رسائل خطية باسمه من الزعيم برقيبة رأسا.

هذه بعض الملاحظات على ما ورد في كتاب الأستاذ الحمروني الذي يدرك دون شك انه اقتصر على إشارات إذ وردت عبارات "مدائن وأعلام ومواضيع" في العنوان بدون أداة التعريف.

لكن ذلك لا ينقص من قيمة هذا الكتاب الذي يمكن اعتباره مرجعا من المراجع يثرى المدونة التاريخية للجهة ويوثق لأحداث شتى منها ما عاشته الجهة أخيرا من قمع طال عيون بعض أبنائها.

فشكرا للأستاذ الحمروني على هذا الاهتمام وهذا الجهد ولعل غيره من المهتمين بالشأن الجهوي يعمق ولعل غيره في هذا الشأن أو ذاك ما ورد في الكتاب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الأعمـــــاق

شعر : الحبيب دربال

"إلى صاحب" أول الغيث ندى": صديقي الشاعر المولدي فروج

على قدر أهل العزم تأتي البشائر — وتصحو على قدر الكرام الضمائر
تظلّ كما الأطيار جذلى وفية — على نخبها تندو الكؤوس النواضر
فيفخر بالمجد الأثيل رجالها — وكانت بماء العين تبنى المفاخر
إذا مسّها ضرّ تكون فخورة — فهيهات تناى حين تخبو المشاعر
وهيهات يجتثّ الغريم وشاحها — وهيهات تدنو من حماها الدوائر
مواعيد احلى من كروم تعلّقت — تترجمها هذي النصوص الجواهر
يفوح الكلام العذب من كلّ مبسم — يحيّي معين البذل والكلّ شاكر
يحيّيك يا "مولدي" وقد ظلت شاعرا — تنير دروبا لم تطأها حوافر
فينتشر الطلع المدجّج بالمنى — وتنبسط الآفاق، تزهو البصائر
ويسطع بدر في البريّة باهر — ويزهر عهد باسم الثغر آسر
فيا صاحبي طوبى لقد فزت بالعلى — عطاؤك مشهود وبذلك وافر
فإن قصر التعبير حسب مودّتي — يضجّ بها خلّ وفيّ مثابر
فدعني أقبّل وجهك الطّلق مسلما — يحيّيك قلب بالمحبّة عامر.

سادر هذا الثّرى في ريعان الوطن

شعر: صالح الطرابلسي

ما بين خريف وشتاء،
أمشي...
جسدا مثقلا بشموخ
هذا الثّرى
مغمورا بخصوبة هذه الأرض
هذه الأرض الخضراء، كم كانت
تلهمني المجد ضياء...
أتقصّى الزمن...
عبر كهوف الحاضر والماضي،
أفتح في مداي،
أفقا آخر للمستقبل
هذه الأرض الخضراء...

كم كانت تشعلني
بطفولة...
كم كنت أتهجّى براءتها...
أختزل في أحرفي
من أعينها...
أحلامي سكرى...
أدّخر من عتقها أنغاما
لقصيدة...
القصيدة دمي...
فوق هذه الأرض لها نشيج،
ولها...
فوق هذا البياض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراتيل،
تردّدها المعاني صدى
لفصول خصبها ظمأ،
ولها...
أناشيد تدوّي في
زغاريد المطر
ساصحو على شواردها،
وأمضي سامقا كالنّخيل،
في سماء البلاد،
يبتني صرح ذراه...
أقطف
من سنا الشّمس عناقيد،
أعصرها خمرة معتّقة
ترتوي من سلافتها
أفئدة العاشقين
أهرّب الآن ذاتي من،

أساطير تسبح في سديم
الظّلام...
أهرّب أفراحي إلى زمن
لا دم يسفك فيه ولا عرضا
يباع...
سأنتعل كلّ جراحاتي،
لأنتشل الرّوح من مذابحها،
وأزرع شعاعا يشرق في مداي
قوس قزح
سادر هذا الثّرى
في ربعان الوطن...
وله نكهة العشق
سأدعو القصيدة،
لتجمعه في أبجديّاتها
تعاليم ذات أعين ثاقبة...
تخترق كل جدران الصّدّ والعدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تستشرف الزّمن الجريح بجدّ
الصروف،
تدرك الشّمس في تخطيطها
للغد الموعود...
هي القصيدة، مرآتي
السّحريّة.
كلّما الزّمان بها مرّ
عكسته.

هي القصيدة...
في كلماتها...
جسدي يتشظّى...
بقناديلها...
شارعي الدّاجي يستضيء،
فتنقشع عن أفق مداه،
سدمات العدم
هي القصيدة...

أيقونتي الفجريّة،
سأمضي وإيّاها
بعيدا... بعيدا
سنمتطي...
متن الغمام الهطول.
هي القصيدة بنار التّحدّي،
ستمطر كلّ المدائن
خراجها رجما،
بنسف كلّ هذا الظلام المستبد
هي القصيدة...
سأبذر فيها الورود
مدججة بالشّذى...
وأمدّ سماء في مداها،
مثقلة بالرّؤى غيثا...
يمطر الدّنيا، فيرتوي
الظامئون بمائها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدارا
هي القصيدة
ابسط في البياض البكر
أرضها
مزارع حنطة،
تأتي فراخ العصافير خماصا
فتزقّها وتغدو بطانا...
أضرب وإيّاها في هذا السّديم
خيمة نور،
ونؤسس للعاشقين
سمفونية من حياة
المارّون عبر أشعتها...
يستنشقون
ضوعها الحادي
فينتشون...

بالصّحوة والتّمرد...
المارّون عبر دروبها...
سوف يمدّ الوقت من
أحلامهم شوطا...
فيفتح أبوابه المستحيل
ويصدح للدّنيا،
صوته وصداه
المارّون عبر فجاجها...
لن يناموا، فيطش
الظّلام بهم
لن يناموا، حتّى
يصنعوا لهذا الدّجى المستشري
صبحه وسناه

(ماي 2012)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمرات الشيطان

شعر: محجوبة الجلاصي

هاهو يا صاحبي
جرح غائر في جسدي
وغصة في قلب
وطني...
وشهيد طعنه
سارق الضوء
دموع ثكلى
لا تنتهي... إبليس يظهر
في شاشة التلفزة
يعتذر... نندد...
نتعهد... بوطن أفضل...
عفوا يا وطني، خذلتك الوجوه
وامتطوا صهوة
حلم مزيف
عفوا وطني

خانتك الفصول
الدماء... ماء
والشيطان يقتل
فينا... فرحتنا
عفوا وطني
اخجل منك
لم نكفكف دمعتك
لم نحرس حلمك
والشيطان ينعم
بانتصاره... سنرجمه...
سنقتلع أمنيته
وسنزرع حلمك
يا وطني... بالنصر
من جديد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنتفض الدنيا من تحت رماد

شعر: أميرة الرويقي

تنتفض الدنيا من تحت رماد
تنشر هنا
هناك
الأشواك
ترقص فوق أبسطة النوى
الورود
أصحو على دمار
في الوجود
وأنام على جنون
في العباد؟؟؟
أهذه هي الدنيا؟
م تراني قد اخطات
كل عناوين
العناد؟
لطالما كنت العنيدة

لطالما الصخر كان
وظل
أكداس عثرات
للوجود؟
ولطالما سخرت مني
الظنون
واقض فكري انتظار
في الورود
اتينع؟
أم لا تينع
اتورق الدنيا ثانية
ضياء
بعيد اقصاء في عتم وجمود؟؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضربةُ شمس !...

قصة: محمّد جُوعُو

كبر في الوجدان الحنين إلى الوَحْدانيّة وإشْتقتُ إلى الاعتزال والانفراد بالنّفس هروبا بجلدي من الضّوضاء والغوغاء والحشْدِ الكبير الّذي غصّتْ به داري منذ مطلع الشّهر!...

وضاق صدري وتشنّجتْ أعصابي حتّى كدتُ أنفجر.. فصفقتُ الباب ولذت بالشّارع في خطوات سريعة متأزّمةٍ.. مُلْقيا بجسدي في أتون الظّهيرة، متنازلاً لمنْ عجّتْ بهم داري عن هواءٍ منعش مُكَيّفٍ رَطْبٍ يُفرزه في غُنْج ودلالٍ «مُكَيّفُ الهواء» الّذي لم أُسَدّدْ من أقساط ثمنه سوى قسطًا واحدًا والّذي كِدْتُ أصدّق يوم إشْتريته كذبة مفادها أنّه سيُعيد الرّوح إلى روحي فيُغْمُرها طيلة فصل القَيْظِ بدُفْقٍ من النّشوة والحيويّة والتّفاؤل والإشراق!...

لكنّ هواءه المنعش الّذي خِلته مُنْقِذي تحوّل فجأةً إلى ضغطٍ كثيفٍ مُلبّدٍ خانقٍ، قتل في المهد النّشوة الّتي كُنْتُ أنشدها وضيّق الخناق على روحي منذ أن تحوّل بَهْو داري ملعبا للصّغار وإنقلبتْ غرفها القليلة مَرْقدًا للكبارِ من ذوي القربى الوافدين عليّ، الحريصين على "ربط صلة الرّحم" والتّسابق لنيل الثّواب بعد أن أصبحت صِلة الرّحِم في ظنّهم وإعتقادهم سُنّة مؤكّدة لا يكتمل دينهم إلاّ بها ولا يَصحُّ أداءها إلاّ في هذا الوقت من السّنة!...

في أتونِ الشّارع الطّويل بعيدا عن مُكَيّفِ الهواء والحشد الكبير، وجدتُ صاحبي يتسكّع.. وكان مثلي هاربًا بجلده من داره، ينشُد العُزْلة والانفراد بالنّفس!...

...حدث ذلك في هاجرة يوم صائفٍ قَيْظٍ، أُجاجٍ [1]، شمسه مكابرة... متحيّرة... مُستبدّة... قرصها فوهة بركان، تقْذف حُمَمًا تَثْقبُ رأس العُصفور، لُعابُها أحرق براعم شجيراتِ الدَّفلَى وصهدتْ سِياطها الجهنّميّة جلود المصطافين من غير أهل البلدة وخَصَّبَتْ أقدامهم الحافية بزِفْتِ الطّريق... فناحتْ في السّماء الصّارمة الزّرقاء طيور البحر متوسّلة رحمة مستحيلة من القرص المضطرم المتوهّج، مستنجدة من حين لآخر بالأزرق المالح...

وهناك في قلب غابةِ جبل "بوقرنين"، بينما كنّا أنا وصاحبي نتسكّع في الشّارع الطّويل، نبحث عن مُغْتَصَمٍ يَمنحنا السّكينة وطُمَأنينة الانفراد بالنّفس ويحمي أمّ رأسين من السّياط وحُمَم البراكين، كان يُسْمَعُ للمحصى طَقْطَقَةٌ وأنين!...

بعد بحث مضن عمّا خرج كِلانَا من داره ينشده، إعتصمنا أخيرًا تحت شمسيّة على رصيف إحدى مقاهي الكُورنيش الّذي يطلّ على البحر والّتي تكون عادة خاليّة من روّادها في مثل هذا الوقت من الظّهيرة...

أسندتُ ظهري إلى ظهر الكرسيّ البلاستيكي الأبيض وخلع صاحبي نعليْه ومدّ رجليه خارج دائرة الظّل غير آبه بأسْفلتِ الرّصيف وقد تحوّل مثل زِفْتِ الطّريق من شِدّة القيظ إلى سائل لزجٍ مُتمطّط، متمدّدٍ يَعْلقُ بكلّ ما يجرؤ على لمسه فيصيده ويُوقعه في الفخّ.. ثمّ طفقنا نلهث ونَمسح كلانا مُتأفّفًا العرق المتفصّد من مسامّ رأسه ووجهه ورقبته...

لاحظ وجودنا الشّاذّ نادل المقهى ففرك عينيه يطرد عنهما غَفْوَةَ القيْلولة وأسرع نحونا يُسْعفنا بزجاجة ماء معدنيّ أخرجها عَرْقانة من قاع الثّلاّجة تتفصّد من جنباتها قطرات شفّافة كأنّها أعْين ذاتُ تلألؤ وغُنْج وإغْواء لها رموشٌ تغمزنا، تسيل لُعاب من ليس بفمه يُبْسٌ وفي حلقه جفافٌ مثلنا...

ضمّمتُ الزّجاجة إليّ أغازلها، وبكِلتا يديّ رفعتها إلى شفتيّ وقذفت نصف ما فيها من بَرْدٍ [2] في جوفي..

ثمّ بعد صوم عن الكلام، سألتُ صاحبي مازحًا:

– ما الفرق بين كلمتيْ : صَيْفٍ و ضَيْفٍ...؟

كنت أريد من وراء سؤالي التّلاعب بالألفاظ والتّرويح عن نفسي وعنه وقد تمكّن منّا القيظ والغيظ تمكّنًا..

قال جادًّا، غير عابئ بمزاحي:

– لا فرق بينهما في اعتقادي، سوى تلك النّقطة الصّغيرة الّتي لو قفزت من (ضاد) الكلمة الثّانية إلى (صاد) الكلمة الأولى لأصبح يا صاحبي الضّيف صيفا والصّيف ضيفا!...

ثمّ بعد أن قرّبَ عنق الزّجاجة من فمه، يمتصّ ما بقيّ في جوفها من ماء باردٍ فُراتٍ، في محاولة لإطفاء نار الغيظ المتّقدة في أحشائه، أضاف:

– للصّيف، يا صاحبي، كما للضّيفِ وجهان!...

أوّلهما صيفُ الآخرين!...

وهو صيفٌ يكون أغْبر.. مُسْتعر الصّدر.. حَرُونًا.. عنيدًا.. متمطّطًا.. شرها.. نهمًا.. كسولاً.. ملحاحاً.. يُكبّلنا ويُكْتنفنا من كلّ الجوانب فلا نستطيع منه إفلاتًا.. فهو كضيفٍ ثقيلٍ على النّفس.. يحتلّنا عنوةً.. يحتوينا احتواءً.. يُرابطُ في البيت.. يُطيل فيه المقام.. يربضُ ويقف حاجزًا دون منافذِ راحتنا أحببنا ذلك أم كرهنا.. يتدخّل في جميع شؤوننا الخاصّة والعامّة، الكبيرة منها والصّغيرة.. معتبرًا نفسه ربَّ البيت، غير عابئ برأينا فيه وفي تصرّفاته.. يتأفّف ساخطا، متصنّعا الغضب كلّما تجرّأنا ونادرًا ما يحدث ذلك فأعلمناه أنّ النّفس ضيّقة منقبضةٌ وأنّ بيتنا إقتنيْناه على

قياسنا وقياس عيالنا فقط.. يندسّ ويتغلغل في مسامّ الجلد، يذوب في الرأس.. يمنع عنّا النّفْحَ ويُشبعنا لَفْحًا [3] فنصبح معوقيّ الفكر لاهثين لهاثًا متقطّعًا كأنّه نَشاز موسيقى يعزفها عازف هاوٍ وتفرز مسامّ جلدنا عرقًا لزجا مِلْحاً أجاجًا [1] يُجفّفه فيزداد عنادًا وتصبُّبًا ويزداد الجسم ظمأ وتبرّمًا...

قاطعته متأفّفًا، محتجًّا وكنت أُعالج العرق المتفصّد من مسامّ جلدي، أُجفّفه بمنديلي فيزداد عنادًا ويزداد جسمي ظمأ وتبرّمًا قُلتُ:

ــ إنّي أكره الصّيف!...

قال بيقين متحدّيًا وطأة الحرّ وركود الهواء وضغطه على الصّدر.. ماسحًا بظهر يده ما علق بجبينه ووجهه ورقبته من ملح العرق:

– ذاك صيفهم يا صاحبي!...

ثمّ بعد أن طلب من النّادل كوبين من عصير اللّيمون المثلّج أضاف:

– ...أيّامه ولياليه ضغطٌ على النّفس شديدٌ وصرير على أسفلتِ الطّرقات بحنون وهستيريا تصيب الذّهن والحسّ ونَشاز موسيقى مُسْتوردة صاخبة تقتحم عُنْوَةً طبْلة الأذن السّليمةِ كسِهامٍ ذات أسِنّة تُشْحَذُ شَحْذًا عبْر «المطرقة والسّنْدان والرّكاب» لتنفذ موجاتها الصّوتيّة العاتيّة الحادّة إلى الأذن الباطنة فتصيب في الصّميم التّوازن وتلوّث الذّوق والسّمع!...

صيفهم، خلق كثير.. زِحامٌ وغليان وهدير وصخب وضجيج.. أكتاف وظهور وصدور بفعل أتون القرص المضطرم المتوهّج بُرُنْزيّة اللّون، مصهودة.. حُصر وشمسيّات وخيامٌ وكراسي مدٌّ وقفاف في بطونها أنواع من دَسِم الطّعام مختلفةٌ .. صياح نسوة يفتّشن بين الأمواج عن أطفالهنّ وبكاء أطفالٍ أضاعوا أمّهاتهم في الزّحمة ولطاتٌ محموم، شَبِقٌ وراء تبرّج عُرْيِ الأجساد المنحوتة نحْتًا، المطليّة بمراهم وزيوتٍ تومِضُ

كوميض البرق!... قدور عليها طبقة كثيفة من الدّهون اسْودّتْ من كثرة الاستعمال، في جوفها "جِمْصٌ وماء وملحٌ" يُسْمع لغليانها غَطْغَطَةٌ وصحاف من الفخّار بُنِّيّ اللّون على الموائد البلاستيكيّة مصطفّة.. مملوءة خبزًا باتتا وأفواه تلوك وتمضغ وأخرى تتشدّق ببذيء الكلام وبطون منتفخة، وخيمةٌ، تزدرد كلّ ما يُقدّم لها على كورنيش الشّاطئ إزْدِرادًا.. قوارير وعلب وأكياس من البلاستيك سوداء اللّون وقشور بطّيخ وذُلاّع على الرّمال منشورة...

تلك صفات صيفهم يا صاحبي!...

يُقابلها في الطّرف الآخر صَيْفُنا نحن الّذي نسكن في داخله وفي داخلنا يسكن.. يَسْبت في أعماقنا كلّما دقّ بابنا فصل الخريف فننتظر في جَلَدٍ وصبر طيلة سنة كاملة بأيّامها وأسابيعها وشهورها.. بخريفها وشتائها وربيعها بعثه من جديد.. متدثّرين بدِثار ما يتركه في الوجدان من ذكريات عذبة...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صيفنا نحن، لنا معه في كلّ نهاية عام دراسيّ موعد نلقاه فيه رفيقًا عَبِقًا، لَبِقًا ينزل علينا ضيفًا خفيف الظّلّ.. مَرِحًا.. هشّ الوجه.. مشرق الطّلعةِ..بشوشًا.. يُوفّر للجسم ما يَحتاجه من الرّطوبةِ والرّاحة والهدوء والسّكينة ويملأ الصّدر بهجة وغِبطةً ويَسْقينا من فيْض ألوانه وتوهّج أنواره ووفْرة ظلاله خمرًا معتّقةً حلالاً!...

صيفنا يا صاحبي مَشْمُوم فلّ وطوْقُ ياسمين يَملؤنا عبيره ويُنْعش رئتينا شذا طِيبه كلّما "ضَحَا ظِلُّ النّهار" وانْهزم لُعابُ الشّمس [9] تاركا مكانه لغسق اللّيل!...

بقدومه تنفتح الأسارير ويغمر الرّوح فيضٌ من ينابيع صفاء الذّهن والسّريرة!...

البحر فيه يا صاحبي، مرايا سحريّة كمرايا الخرافات لا أحد يستحمّ في مياهها سوى القمر ولا أحد يُمشّط شعره الذّهبيّ الطّويل المسترسل على صفحتها الصّقيلة غيره!...

أمسياته ولياليه رَوْحَةٌ [5] ، "لا نظماً فيها ولا نَضْحَى [6]".. تُشكرنا طلّتُها [7] فنتنشي بنسيمها العَبِق.. النَّدِيّ ويُشنّف آذاننا رقيق أحاديث الأمواج مع سُمّارها... سماؤها أكثر تلألأ وبَحْرَتها عناقيد عنب تكون أكثر إشراقا وتوقّدا وأقرب إلى رحاب صدورنا من أيّ وقت مضى.. نناجي نجومها البعيدة القريبة فتناجينا .. تبوح لنا بأسرارها فنسكن إليها وتُمكّنها من النّفس ونَهْمس لها، نُودعها أسرارنا فتكتم السّرّ وتحفظ الوديعة!...

صيفنا يا صاحبي تِرْياقٌ، يُخفّفُ عنّا كلّ عَشيٍّ بطش صيفهم وجبروت أتونه زمن إشتداد القيظ وركود الهواء وقيام قائم الظّهيرة فنَهْمس في سرّنا ساعة انطفاء قرص الشّمس وأفوله: "ليت السّاعة تتوقّف عند هذه اللّحظات ولا يعود ما سلف من ضيق النّفس وانقباضها وتبرّمها أثناء النّهار!...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(1) الأجاج: الشديد الحرارة و كذلك: الشديد الملوحة.

(2) البَرْدُ: القرّ وانخفاض الحرارة ، الرّيقُ العذب ، الإطْمئنان الماحي لكلّ شيء.

(3) النّفح: من الرّياح: هبوبها في البرد و النّفح: هبوبها في الحرّ.

(4) لعاب الشّمس: شبه خيط تراه كأنّه ينحدر من السّماء إذا اشتدّ الحرّ و ركد الهواء و قام قائم الظّهيرة، يقال له مُخاط الشّيطان.

(5) الرّوْحَةُ: اسم المرّة من راح، ج: روحات. " ليلة روحة ": طيّبة.

(6) ضَحِيَ، ضَحًا وضَحَاءً: برز للشّمس، أصابه حرّ الشّمس.

(7) الطّلّةُ: مؤنّث الطّلّ بمعنى الحسن المعجب، من الرّوائح و الخمر: اللّذيذة، من الرّياض: الّتي بلّها الطّلّ.

الاحتفال بمائوية مدرسة البريد

2 مارس 34 بسليانة

متابعة: حسن ظاهر الرفاعي

احتفلت مدرسة البريد 2 مارس 34 بسليانة يوم الأحد 23 جوان 2013 بمائويتها حيث كان استقبال الضيوف على الساعة العاشرة صباحا حيث تناولوا فطور الصباح



ثمّ تمّت زيارة المعرض الوثائقي الذي يجسد تاريخ المدرسة على امتداد مائة سنة.

ثمّ تمّ رفع العلم على انغام النشيد الوطني التونسي وألقى القائد حسن ظاهر الرفاعي كلمة رحّب فيها بجميع الحضور شاكرا إياهم تلبية الدعوة مدرجا في كلمته أبياتا من الشعر لها صلة بالتربية والتعليم كقوله:

إنّي سأبقى ما حييت مجاهدا ومعلّما لكتائب الأجيال

شهما، نبيلا، نيرا، سمحا، كريما ضد كل ضلال

إنّي أنا الجندي لست مسلّحا إلاّ بحسن تعاملي وخصالي"



وكان لمثل هذه الأبيات الوقع الكبير في نفوس الحضور خاصّة قدماء المدرسة الذين طال غيابهم عن أمهم "الثانية":

"رعاها الله مدرسة وأمّا فهي الأم ما خفقت قلوب"

الشاعر: الأستاذ عمر الكنزاري

ثمّ تناول السيد محمد الجبالي مدير المدرسة كلمة جاء فيها ما يلي:

"بسم الله الرحمان الرحيم

حضرات السادة والسيدات الكرام، زملائي الأفاضل، أبنائي التلاميذ، ضيوفنا الأعزاء، تزلتم أهلا وحللتم سهلا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسمحوا لي بادئ ذي بدء أن أرحب بكم جميعا فائق الترحاب باسمي الخاص وباسم الأسرة التربوية الموسعة بمدرستنا نهج البريد 02 مارس 1934 التي تحتفل اليوم بمئويتها التي امتدت منذ تأسيسها سنة 1912 إلى سنة 2012 وبذلك أنهت قرنا من النشاط التربوي المثمر، ودخلت في الثاني وهي في خدمة الأجيال. أجيال وأجيال تعاقبت عليها، رعتها إطارات تربوية كفئة بذلت جهدا كبيرا يذكر فيشكر منذ تأسيسها إلى اليوم. وقد عملت هذه الإطارات التربوية بجد وإخلاص، مصداقا لقوله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم "من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" (سورة النحل الآية 97) صدق الله العظيم. فرحم الله من توفاه الأجل المحتوم، ومدّد في

أنفاس من بقي. فلهم منّا كل الاحترام والشكر والتقدير، ولكم بالمثل على تجشمكم الأتعاب وتحملكم مشاق السفر. هذا ولئن شطت الدار فقد وجدتم رغم البعاد حماكم، فأنتم اليوم بين أهلكم وإخوانكم وزملائكم تستحقون كل التبجيل وايلاء ما يناسب هذا الحضور الذي نلنا شرفه.

فلهذا وغيره نقيم هذا الاحتفال المتواضع في مظهره والعميق في معناه، كاعتراف بجميل فضلكم وفضل كل من انتمى إلى مسيرتها الموفقة التي تواصلت لمائة سنة ولازال الزمان يوافي، وإن شاء الله ستكون لنا لقاءات لاحقة بعد هذا الاحتفال الذي أردناه أن يكون مصافحة أولى بيننا والبقية تأتي، وذلك رغبة منا كأطراف في تمتين الصلة، ليبقى التواصل قائما، ونلتقي مرات أخرى في رحاب هذه المدرسة ويكون حينها الوقت أوسع، والظروف أحسن، ونكون مهيئين أكثر دون ضغوطات شهر الامتحانات واختتام السنة الدراسية، فمع الشكر الجزيل على تجسيم انتسابكم لهذه المدرسة قولا وفعلا، والتماسنا منكم بكل لطف التفهم لما عسى أن يطرأ من نقص وفي حفظ الله دمتم، وأخيرا وليس آخرا لتبقى تحيتنا التربوية دائمة."

ثمّ أحيلت الكلمة إلى السيد المندوب الجهوي للتربية **عبد الرزاق الصوابني** الذي رحّب بالحضور وأشاد بمجهود الأسرة التربوية بالمدرسة... وذكر أنّ المائة سنة التي مرّت تكاد تختزل الجزء الأهم من تاريخ مدينة سليانة الحديثة... فمدرسة البريد منارة في هذه الربوع المعطاء ونور وهاج أضاء دروب الكثير من أبناء الجهة قديما وحديثا وهي سجلّ يحفظ ذاكرة المنطقة... مدرسة البريد أكبر منّا جميعا، نحن وأنتم من أبناءها والمولود لا يمكن أن يحيط بفضائل والده وإن أراد أن يجمع بعض فضائله... فمدرسة البريد غزيرة العطاء بعثت بأبناءها في كلّ الاتجاهات وحلّ الاختصاصات

والمعارف، فمنهم من يجدّ بالساعد ومنهم من يكدّ بالفكر... وهكذا واصل السيد المندوب كلمته اللطيفة المعبّرة التي نالت الاستحسان.

وبعد ذلك تواصل الحفل من طرف تلامذة المدرسة منشدين ومرحبين بالضيوف، ذاكرين خصال المربي وحسن تعامله مع أبناءه التلاميذ من خلال نشيد معلّمي:

"معلّمي معلّمي

أحلى نداء في فمي

يا سيدا رعاني بالحب والحنان

أخذتني صغيرا لا أحسن التدبير

فكنت لي طول المدى

معلّما ووالدا

أنت الذي ربيتني

أنت الذي علّمتني

علّمتني الخلق الحسن

علّمتني حبّ الوطن

ذكراك لا تزول

في خاطري تجول

سجلها ضميري

بأحرف من نور "

وتوالت الفقرات المختلفة التي أثثها تلامذة المدرسة بالمناسبة، فكانت تلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، وعروض لمسرحيات وسكاتشات هادفة كانت بإشراف

مجموعة من المربين كما تخلّل هذا النشاط الثقافي التلمذي إلقاء وعرض لحركات رياضية للتلميذ **أنيس النميري** بطل تونس في الجمباز.

ثمّ ألقى المربي **حسن ظاهر الرفاعي** كلمة باسم قدماء المدرسة فكانت معبرة عن أحاسيس القديم والجديد من التلامذة والمربين الأوفياء، الذين حضروا هذا اللقاء فكرمتهم الأسرة التربوية بالمدرسة.

وعلى سبيل الذكر لا للحصر:

السادة والسيدات د.محمد المنصف العطياوي، د.عبد اللطيف بودبوس،د.فوزي الشابي،الأستاذ عبد الكريم العطياوي، السيد خالد الترجمان رئيس بلدية منوبة،الناصر غربال ونجيب غربال، التوهامي الحمادي، علي الواقي، لطيفة الواقي، **فطيمة العبيدي، الهادي النميري**، محمد السمراني، محمود المبروك والشيخ عبد الستار العربي عميد المربين وأهديت إليهم نسخا من كتيب أعدّه حسن ظاهر الرفاعي خصّيصا بالمناسبة يحوصل تاريخ المدرسة منذ تأسيسها إلى أن أهلت قرنا وفي هذا اليوم 23 جوان 2013 أتيحت الفرصة للاحتفال بالمائوية الأولى فالتقى قدماء المدرسة ببعض المربين الأوائل الذين تقدمت بهم السن أمثال الشيخ عبد الستار العربي، التوهامي الحمادي، يوسف العباري.... فخفقت القلوب فرحا بهذا اللقاء وأنشدت السرور وردّدت في صمت مع الفنان الكبير **لطفي بوشناق:**

"تتمنى نرجع لصحابي

لقسمي وكراسي وكتابي

والدنيا تغني على بابي

وأنا خالي البال

صغري موّال"

ومناسبة كهذه جعلت الجميع من قدماء المدرسة والمربين والأولياء يتساءلون عن تلك العهود وعن كيفية إرضاء هذه الأم "الثانية" التي بدت وكأنها تلومهم لوما خفيفا من فرط طول الغياب؟ فها هي تجمع اليوم شملهم لذلك فكروا في ربط الصلة بها وهم عاقدون العزم على تكوين جمعية يجسمون بها انتسابهم لهذه المدرسة ويصلون الماضي بالحاضر ويستشرفون المستقبل.

" إيه مدرسة البريد 2 مارس 34

اسمك العذب في الشفاه

ربيع يملأ جوانحنا

والسهول الخصبة من أرضنا التونسية المعطاء "

ولازالت عجلة الزمن تسير بنا وأنت تنشرين العلم والتربية والمعرفة في ربوع سليانة

"القلب النابض في شمال الغربي التونسي" وهكذا ختمت مدرسة البريد سنتها الدراسية 2012-2013 في جو مفعم بالعنوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





بستان "الإتحاف"

نفس جديدة في منظمة الالكسو

بقلم: عبد السلام لصيلع

بعد تعيينه مديرا عاما للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عقد الدكتور عبد الله حمد محارب ندوته الصحفية الأولى بحضور عدد كبير من الإعلاميين طرح فيها الخطوط العامة لبرنامجه من أجل النهوض بهذه المنظمة العربية العتيدة وتطويرها.

واستهل حديثه بقوله:" جئت إلى المنظمة ووجدت أن حل مشاريعها تدور في مكاتبها وأن أغلب التعيينات فيها كانت بالخسوبية الرسمية فلان وفلتان، هذا الوضع لا يمكن أن يستمر. منذ عشرين سنة لم يستمع المواطن العربي شيئا عن المنظمة لأن أغلب مشاريعها بقيت نظرية. مثلا هناك بعض الدول العربية مازالت تعاني في ميدان التعليم كالأوضاع القائمة في المدارس الفلسطينية.. نحن في المنظمة علينا أن نهتم بهذا الجانب.. وكذلك نفس الشيء بالنسبة إلى المدارس السورية. وفي الصومال أيضا أوضاع المدارس مزعجة ومزرية، وقد وضعنا خطة لمساعدة الصومال للنهوض من كبوته.."

وأضاف الدكتور عبد الله حمد محارب: "علينا أن نحول المشاريع والخطط والبرامج من الأوراق والنظريات إلى الواقع.. علينا أن نرتقي بالمنظمة لننقلها من الواقع النظري إلى الواقع العملي".

وأكد عزمه على إبعاد الالكسو عن السياسة والتجاذبات السياسية العربية لتتفرغ المنظمة لانجاز الأهداف التي تأسست من أجلها. وقال:" أطالب أن تعزل المنظمات التابعة لجامعة الدول العربية عن السياسة لأنها يجب أن تخدم المواطن العربي في الشارع."

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال:" نحن شعوب متخلفة ويعتبروننا في العالم تأدبا شعوبا نامية.. فعلى المنظمة أن تهتم ببناء جيل عربي يجب أن ينشأ على قيم العلوم والتربية والثقافة".

واقترح تغيير اسم المنظمة ليكون:" المنظمة العربية للعلوم والتربية والثقافة." ودعا جميع الرؤساء والملوك والأمراء العرب إلى أن يوجّهوا اهتمامهم الأوّل نحو التعليم، وأكّد أنّ "جودة التعليم يجب أن تكون مرتبطة بإرادة سياسيّة". وقال: "يجب أن يكون همّ المسؤول العربي هو النّهوض بالتّعليم وبجودته للخروج بهذه الأمّة من التخلّف إلى التقدّم.. وأنا حريص في عملي على إبعاد المنظّمة عن التّجاذبات السياسيّة العربية ."

وأبرز الدكتور محارب قائلا:"تونس هي من أنسب الأماكن لعمل المنظمة، وسأعمل على ترسيخ وجودها في تونس".

وطالب الدّول العربية التي لم تسدّد ما عليها من أموال نحو المنظمة بتسديدها "حتى لا تُشلّ هذه المنظمة" مثلما جاء في كلامه.

وذكر أنّ "63 مليون دولار هي مجموع ديون الدّول الأعضاء لم تدفعها للمنظمة".

وقال: "تبلغ ميزانيّة المنظمة في السّنة مليون دولار وأنا أتمنّى أن تكون هذه الميزانية 50 مليون دولار على الأقلّ".

وحول القناة الفضائية الثقافية العربية المنتظرة، قال المدير العام للألكسو: "ستتوفّر لها الخبرة والجودة والإمكانيات الماديّة "وستكون بعيدة عن السّياسة ولا علاقة لها بالسّياسة".

يوم سنوي للمخطوط العربي:

وقع تخصيص يوم 4 أفريل من كلّ عام يوما سنويّا للمخطوط العربي، يقع الاحتفال به في كلّ الأقطار العربية.

أعلن ذلك الدكتور عبد الله حمد محارب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مؤخرا في القاهرة بعد نجاح تظاهرة يوم المخطوط العربي التي أقيمت في بيت **السّناوي الأثري** بحيّ السيّدة المنوبية بالقاهرة برعاية معهد المخطوطات العربية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبة الأسكندرية"

3–جائزة ابن خلدون –سنغور فاز بها السنيغالي روحان مباي:

فاز الأستاذ الجامعي والباحث السّنيغالي الأستاذ روحان مباي بجائزة ابن خلدون –سنغور للترجمة في دورتها الخامسة لترجمته من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية لكتاب من التّراث العربي الإسلامي عنوانه "جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العبّاس التّيجاني" للعلاّمة الصّوفي السنّي سيدي علي حرازم بن العربي برّادة المغربي الفاسي.

وتوّهت لجنة تحكيم الجائزة برئاسة الدكتورة نهاني عمر الرئيسة الشرفيّة للجامعة الفرنسيّة بالقاهرة بالمستوى الجيّد للتّرجمة "نثرا وشعرا بطريقة وسطى بين المحتوى والشّكل بعيدا عن النّقل الحرفي وعن كلّ ما لا يؤدّي القيمة المعنويّة للنصّ الأصلي".

وهذا الحرص على جودة التّرجمة تطلّب من صاحبها سنوات طويلة من الجهد لتتوفر كافة الشّروط العلمية ليس فقط في التحقيق والترجمة أيضا بل أيضا في إعطاء مزيد من الوضوح بوضع فهارس لما ورد في النص من الآيات والأحاديث والأبيات الشعرية والمفاهيم والعبارات والأعلام والكتب والمدن والأماكن.

وقد تأسست جائزة ابن خلدون – سنغور للترجمة في العلوم الإنسانية من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالاشتراك مع المنظمة الدولية الفرنكفونية بهدف النهوض بالتنوع الثقافي واللساني وتشجيع التبادل الثقافي والأدبي بين العالم العربي والفضاء الفرنكفوني، وهي تسند سنويا بالتداول إلى أفضل نص معرب من الفرنسية أو أفضل ترجمة من العربية إلى الفرنسية.

(4) "في الأدب العربي المعاصر...

للدكتور: أحمد الطويلي

صدر للدكتور أحمد الطويلي كتاب جديد في 186 صفحة من الحجم الكبير عنوانه "في الأدب العربي المعاصر.." في المشرق والمهجر الأمريكي وتونس" يتضمن فصولا عن أدباء وشعراء هم من رموز الأدب التونسي المعاصر.

في مقدمة كتابه، يقول الدكتور أحمد الطويلي: "هذه دراسات عن شخصيات من عالم الأدب الحديث قد فتنتني، وطالما تلذذت بقراءة إنتاجها الادبي ودراسته، سواء كانت من تونس أو من بلاد المشرق، فقد اتسم أدبها بالتجديد والطرافة والنكهة الفنية الصرف.

ولقد رافقتني نازك الملائكة بوجود انيتها ورقة مشاعرها وصدق عاطفتها، وأعجبتني مسرحيات أحمد شوقي الشعرية بحبكتها الفنية، ومواقف شخصياتها القومية والوطنية والغرامية، فقد أجاد أحمد شوقي فيها تدبيج المشاهد وتطوير العلاقات بين الشخصيات المختلفة.

وشدتني جماعة الرابطة الإقليمية في المهجر الأمريكي بدورها في خلخلة الجمود الأدبي الذي كان ميسم الأدب العربي في صدر القرن العشرين، فأحدثت فيه ثورة بل زلزالا رجت به المفاهيم الأدبية إذاك، وكان للرابطة تأثير كبير في مسار الأدب العربي الحديث.

كما شدتني جماعة أدباء **"تحت السور"** بتونس، ودورها في الحياة الأدبية والفنية، فقد طورت الأدب التونسي الحديث، وأنارت دروبه، ونهضت به، وجعلته في مستوى عالمي رفيع بنزعته الإنسانية، وأشكاله الأدبية الحديثة. كما صبغت الصحافة التونسية

بميسم التحرر والحداثة والإبداع في المواضيع، وكان لها تأثير عظيم في مسار الأدب التونسي الحديث.

فقد كان علي الدعاجي من بين هذه الجماعة أكبر ظاهرة في الأدب التونسي إلى جانب عدد من أعضاء النادي، كانت لهم الأيادي البيضاء في القصة والمسرحية والأغنية والقصيدة وأدب المقالة وفن الكاريكاتور والمقالة الصحفية".

ويضيف الدكتور احمد الطويلي:" ومن الشخصيات التي لها مكانة مهمة في تاريخ الأدب العربي بتونس نذكر صالح سويسي القيرواني ومحمد العربي الكابدي وشعراء آخرين أمثال مصطفى خريف وأحمد اللغماني ومحي الدين خريف.

ويقدم هذا الكتاب صورا جلية من عالم الأدب العربي الحديث في المشرق وتونس من حيث التجديد في الصياغة والمعاني والأفكار والأشكال الأدبية، ومن حيث الالتزام بتحميل الإنتاج الأدبي والفني الأغراض الوطنية والحضارية والطموح إلى الرقي وبلوغ مستوى فني عالمي عال.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقسمنا الكتاب إلى قسمين:

1-أبحاث ومقالات عن أدباء من المشرق والمهجر الأمريكي، منهم نازك الملائكة وإيليا أبو ماضي وجبران خليل جبران.

2-دراسات ومقالات في الأدب التونسي المعاصر، نشرناها سابقا في العديد من المجلات والجرائد.

وقد شاركنا ببعض هذه الأبحاث في عدد من الملتقيات الأدبية في البلاد التونسية".

(5) **"دفاتر الماء"** للشاعرة ضحى بن طاهر

في 106 صفحات من الحجم المتوسط، أصدرت الشاعرة ضحى بن طاهر مجموعتها الشعرية الثالثة بعنوان "دفاتر الماء" بعد مجموعتيها "لؤلؤة المطر" و"ورود تتبخر".

تتضمن المجموعة أربعين قصيدة تدور مواضيعها حول العاطفة والذات والوطنية.

تحت عنوان "**النقش بماء الروح على دفاتر الخلود**" كتب الشاعر المولدي فروج تقديما لهذه المجموعة، مما جاء فيه:" لعل ما جعل هذه القصائد تفتك مكانها في ذهن القارئ وتغزو قلبه وهو صدق الشاعرة أولا ورشاقة العبارة ثانيا وجمالية الصورة خلاصة".

ومن المجموعة نختار هذا المقطع:

حين لمستها

كالخيط تراخت

وجنون عطرها

باح..

ببعض ما في الشجون

تباني الهديان

بحمى الورود

وبين توهج يدي

نبضت جراح وجراح.

(6) كلمات من ذهب

يقول الشاعر اللبناني وديع سعادة:" لم نسمع الشجر يصرخ تحت فؤوس الحطابين، بل سمعنا الحطابين يئنون وهم يقطعون الشجر".

(7) كالليل

تقول نازك الملائكة:" إني كالليل سكون، عمق، آفاق

إني كالنجم، غموض، بعد، إبراق."

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com